

تاريخ الإرسال (2021-10-9)، تاريخ قبول النشر (2021-11-30)

- \* 1 أفنان حسام رحال اسم الباحث الأول:  
2 أ.د. جهاد محمد النصيرات اسم الباحث الثاني:

التفسير وعلوم القرآن-الشرعية-الجامعة  
الأردنية - الأردن

<sup>1</sup> اسم الجامعة والبلد (للأول)

التفسير وعلوم القرآن-الشرعية-الجامعة  
الأردنية - الأردن

<sup>2</sup> اسم الجامعة والبلد (للتاني)

\* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

Afnan\_rahhal90@hotmail.com

<https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.3/2022/21>

## دراسة تحليلية للآيات التي تناولت النفس الواحدة التي خلق منها الأزواج

### الملخص:

يتناول هذا البحث الآيات التي تحدثت عن خلق البشرية من نفس واحدة وخلق زوجها منها في كل من سورة النساء والأعراف والزمر، في محاولة للإجابة عن سؤاله الرئيس؛ ما أبرز الدلالات القرآنية التي تضمنتها آيات الخلق من نفس واحدة وخلق الزوج منها في سورة النساء والأعراف والزمر؟ وذلك بهدف بيان الدلالات التي تحملها الأفعال المختلفة في الحديث عن خلق الزوج من النفس الواحدة في السياقات المتشابهة في هذه السور الثلاث، وبيان الدلالات البلاغية لكل منها وارتباطها بسياقها، وذلك باتباع المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي. وقد توصل الباحثان لعدد من النتائج كان من أبرزها؛ تفرّد سورة النساء بالتعبير عن خلق الزوج من النفس الواحدة بالفعل (خلق) لتقرير قاعدة المساواة في الخلق بين الذكر والأنثى وعدم تفاضلها في هذا، بينما كان التعبير عن هذه القضية في سورتي الأعراف والزمر بالفعل (جعل) لأنها جاءت بمعرض الحديث عن مئة الله تعالى بتصيير الأزواج بعضهم لبعض، لكن اختلفت سورة الأعراف عن سورة الزمر بعطف الفعل ب(الواو) لأنها قصدت تقرير النعمة واستحقاق الله للعبادة بالمجمل، بينما كان العطف في الزمر ب(ثم) لكونها اعتنت بتفصيل بيان هذه النعمة وتعدادها، وبهذا جاءت كل آية متناسبة مع سياق السورة الذي جاءت فيه ومقصدها العام.

كلمات مفتاحية: النفس الواحدة، خلق، جعل، دراسة تحليلية.

### An analytical study of the verses that dealt with the one soul from which pairs were created

#### Abstract:

This research deals with the verses that talked about the creation of mankind from one soul and the creation of its husband from it in Surat Al-Nisa, Al-Araf and Al-Zumar, trying to answer to his main question; What are the most prominent Qur'anic indications contained in the verses of creation from one soul and the creation of the husband from them in Surat Al-Nisa, Al-A'raf and Az-Zumar?, In order to illustrate the connotations carried by different actions in talking about the creation of a pair of one soul in these similar contexts, and to show the rhetorical connotations of each and its connection to its context, by following the inductive, analytical and introspective approach. The researchers reached a number of results, most notably; Surat Al-Nisa is unique in using the verb (create) to express the creation of the husband from the one soul from which he created human beings, in order to establish the rule of equality in creation between males and females and their lack of differentiation in this, while the expression of this issue in Surat Al-Araf and Surat al-Zumar was using the verb (make) because it came to talk about the grace of God almighty on humanity by making the husbands close to each other. However, Surat Al-Araf is different from Surat Al-Zumar in the letters of the connection used in them; In Surat Al-A'raf the letter (waw) was used because the surah came to determine the blessing and the entitlement of God to worship in general, while the letter in Surat Al-Zumar is (Then), because it is a Surah that took care of detailing the statement and enumeration of this blessing, with this, each verse came in appropriate to the context of the surah in which it came and its general purpose.

**Keywords:** one soul, create, make, an analytical study.

## المقدمة

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، المنعم على خلقه بنعمه الظاهرة والباطنة، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين، سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الأطهار الطيبين.  
أما بعد،

فإن من عظيم نعم الله تعالى علينا أن جعلنا من أهل هذا الكتاب، الذي كلما وقفت على شواطئه أمدك بالخير العميم، ومن عليك بجميل هداياه، هذا الكتاب الذي كان ولا يزال المأدبة التي ما اجتمع حولها قوم إلا خرجوا بمكسبٍ عظيم، وإن من عظيم ما تجده في كتاب الله تعالى، أن الواحد منا ينظر في آية من آياته فيدرك فيها فهمًا يختلف عن صاحبه ولا يعارضه، فهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائب، بل تبقى ساحة القرآن متسعة للآراء متى انضبطت بضوابط التفسير المعتبرة، ولا يبالغ أحدنا حين يقول إن قضية خلق آدم وحواء عليهما السلام قد شغلت كثيرين، وربما أوقعت كثيرين كذلك في مزالق الفهم الخاطيء، وقد كانت أول آية تتناول هذه القضية في الترتيب المصحفي قوله تعالى في أول آية من سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1]، إلا أنها لم تكن الآية الوحيدة التي تحدثت عن خلق الناس من نفس واحدة وخلق الزوج من هذه النفس، بل تبعتها في كتاب الله آيات أخرى خالفتها في بعض المفردات؛ كما في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189]، وفي سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: 6]، إذ عبّر فيهما عن خلق الزوج من النفس الواحدة بالفعل (جعل)، مع خلاف مع سابقتهما في أداة العطف.

**مشكلة البحث:** لما تعددت الآيات التي تتحدثت عن خلق الناس من نفس واحدة وخلق الزوج من هذه النفس، واختلفت الصيغ الفعلية في التعبير عن خلق الزوج من هذه النفس بين الفعل (خلق) والفعل (جعل)، ولما ترتب على الاختلاف السابق اختلاف بين المفسرين في حقيقة ومعنى هذا الخلق، خاصة فيما يتعلق بخلق الزوج أو حواء إن صح التعبير، واختلاف في معنى النفس الواحدة، ولما كانت هذه الاختلافات التفسيرية واردة على عدد من الآيات القرآنية وكانت في سور مختلفة، جاء هذا البحث بعنوان (دراسة تحليلية للآيات التي تناولت النفس الواحدة التي خلق منها الأزواج) للإجابة على السؤال الرئيس الآتي: ما أبرز الدلالات القرآنية التي تضمنتها آيات الخلق من نفس واحدة وخلق الزوج منها في سورة النساء والأعراف والزمر؟، وينبثق عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

1- ما دلالة التعبير بالفعل (خلق) عن خلق الزوج من النفس الواحدة في سورة النساء ومن هي النفس الواحدة في هذا السياق؟

2- ما دلالة التعبير بالفعل (جعل) عن خلق الزوج من النفس الواحدة في سورتي الأعراف والزمر ومن هي النفس الواحدة في

هذا السياق؟

**أهمية البحث:** تظهر أهمية البحث في كونه يقدم نموذجًا في دراسة التراكيب المتشابهة في سياقات قرآنية مختلفة دراسة تحليلية، في محاولة لدراسة التراكيب المتشابهة ابتداءً وإظهار الفروق السياقية والبلاغية بينها، وكما تظهر أهميته في دراسته لهذه التراكيب تحديدًا في محاولة لرفع الإشكال حول قضية خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وهو ما يبرز عند الحديث عن هذه الآيات، مما يفيد طلاب التفسير عامة والمهتمين بدراسة التراكيب القرآنية من معاهد وغيرها، وكذلك يفيد منه أصحاب الردّ على الشبهات المثارة حول هذه الآيات.

**أهداف البحث:** من خلال ما سبق يتبين أن هذا البحث يهدف لبيان ما يأتي:

1- دلالة التعبير بالفعل (خلق) عن خلق الزوج من النفس الواحدة في سورة النساء، وبيان المقصود بالنفس الواحدة في هذا

السياق.

2- دلالة التعبير بالفعل (جعل) عن خلق الزوج من النفس الواحدة في سورتي الأعراف والزمر، وبيان المقصود بالنفس الواحدة في هذين السياقين.

**منهجية البحث:** تبعاً لما سبق فقد اقتضت طبيعة البحث اتباع المناهج الآتية:

- 1- المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها التراكيب القرآنية الثلاثة.
  - 2- المنهج التحليلي: من خلال تحليل التراكيب القرآنية ودلالات مفرداتها، وربطها بالوحدة الموضوعية للسورة.
  - 3- المنهج الاستنباطي: من خلال استنباط العلاقة بين كل تركيب والسورة التي جاء فيها وربطه بالوحدة الموضوعية للسورة، ثم استنباط الفروق بين التراكيب الثلاثة في الآيات، وتحديد معنى (خلق الزوج) في كل منها من خلال هذه الموازنة.
- الدراسات السابقة: في حدود اطلاع الباحثين فلم يقف على دراسة تناولت هذه التراكيب مجتمعة، وكان غاية ما وقفاً عليه بعض الدراسات التي تناولت بعض الآيات السابقة أو بعض سورها أو أدوات العطف فيها بالدراسة والتحليل؛ ومنها:

- 1- "مقومات الحياة الزوجية في ضوء سورة النساء"، لفاطمة دلما، وهو بحث منشور في مجلة الحكمة، العدد 24، عام 2014م، وقد ناقشت عددًا من آيات سورة النساء التي يمكن الاستفادة منها في بيان مقومات الحياة الزوجية، وكان من ضمنها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤًا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾، مناقشة للآية حول خلق حواء، ويختلف هذا البحث عن بحثنا في كونه يوازن بين دلالات الآيات الثلاثة لاستخلاص الرأي حول خلق حواء.
- 2- "معاني (جعل) في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني"، لخالد كاظم، وهو بحث منشور في مجلة اللغة العربية وآدابها في جامعة الكوفة، العدد 12، عام 2011م، وقد تناول الباحث فيه معاني (جعل) في بعض السياقات القرآنية، وقد أفاد الباحثان منه، إلا أن الاختلاف لم يذكر السياق موطن الدراسة.

**حدود البحث:** تجدر الإشارة إلى أن البحث يدرس السياقات القرآنية التي جمعت بين الخلق من نفس واحدة وخلق الزوج من هذه النفس، ولم يتطرق للآيات التي أفردت إحدى هاتين القضيتين، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [الأنعام: 98]، أو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ [النحل: 72]، أو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...﴾ [الروم: 21]، أو قوله تعالى: ﴿فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ [الشورى: 11].  
فانحصرت الآيات موطن الدراسة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤًا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾ [النساء: 1]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾ [الأعراف: 189]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾ [الزمر: 6].

**هيكلية البحث:** اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة، كالاتي:

**المقدمة:** وتظهر فيها مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجيته، والدراسات السابقة وحدود البحث وهيكلية.

**التمهيد:** مفردتا "خلق وجعل" لغة واصطلاحًا.

**المطلب الأول:** دلالة (خلق) في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، والمراد بالنفس الواحدة.

**المطلب الثاني:** دلالة (جعل) في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، والمراد بالنفس الواحدة.

**الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

### التمهيد: مفردتا "خلق وجعل" لغة واصطلاحًا

لما كان اختلاف صيغ الأفعال في السياقات القرآنية المتحدثة عن خلق الأزواج من نفس واحدة وخلق زوجها منها أساسًا في الاختلاف بين السياقات القرآنية الثلاث، كان لا بد من الوقوف مع المعنى اللغوي والاصطلاحي للفعلين المستخدمين في التعبير القرآني وهما؛ خلق وجعل.

### أولاً: مفردة "خلق" لغة واصطلاحاً

**خلق لغة:** قال ابن دريد: "الخلق: مصدر، وخلق الله الخلق يخلقهم خلقاً ثم سموا بالمصدر"، وأضاف: "وخلقت الشيء إذا قدرته"<sup>(1)</sup>، وحدد الزهري المعنى فقال: "الخلق في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه"، وأضاف نقلاً عن أبي بكر الأنباري: "الخلق في كلام العرب على ضربين، أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر: التقدير"<sup>(2)</sup>، وخالفهم ابن فارس في أحد الأصول قائلاً: "الخاء واللّام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء"<sup>(3)</sup>.

أما ابن سيده فقال: "خلق الله الشيء يخلقه خلقاً: أحدثه بعد أن لم يكن"<sup>(4)</sup>، وزاد ابن منظور: "كل شيء خلقه الله فهو مبدئه على غير مثال سبق إليه"<sup>(5)</sup>، وزاد محمد جبل فيما يسميه المعنى المحوري قائلاً: "الخلق تهيئة مادة عُفّل لتكون شيئاً معيّناً مراداً، ومن هذا خلق الله الخلق: تهيئة مادة ما لتكون كائناً سويّاً بشراً أو حيواناً أو نباتاً أو نهراً"<sup>(6)</sup>.

**أما خلق اصطلاحاً:** فقال الراغب: "الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره: ﴿أَمَّن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17]، والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين: أحدهما في معنى التقدير، والثاني: في الكذب نحو قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءً﴾ [العنكبوت: 17]<sup>(7)</sup>، فالأصفهاني حاول أن يفرق في المعنى بحسب مورد استعمال الفعل، لكنه أورد فيه احتمال إيجاد الشيء من الشيء.

بينما الزمخشري نظر في المعاني المجازية فقال: "من المجاز؛ خلق الله الخلق: أوجده على تقدير أوجبه الحكمة، وهو ربّ الخليقة والخلائق"<sup>(8)</sup>، وقال نشوان الحميري: "خلق الله تعالى الخلق: أي أوجدهم بعد العدم، والخلق: التقدير، يقال: خلق الخياط الثوب: إذا قدره قبل القطع"<sup>(9)</sup>، وأما الكفوي فجاء بمعنى عام فقال: "كل فعل وجد من فاعله مُقدراً لا على سهو وغفلة فهو الخلق"<sup>(10)</sup> وقد أفاد العلامة المصطفوي ممن سبقه فقال ملخصاً ومُحقّقاً: "الأصل الواحد في هذه المادة هو إيجاد شيء على كيفية مخصوصة وبما أوجبه إرادته واقتضته الحكمة"، وزاد مفرقاً بينها وبين عدد من الكلمات المقاربة: "النظر في الخلق يكون إلى الإيجاد على كيفية مخصوصة"<sup>(11)</sup>، وأرجع جميع المعاني التي ذكرت في المعاجم بما فيها التقدير إلى كون تحقق الإيجاد يكون على خصوصية معينة. فلو أنعمنا النظر في المعاني المذكور (لخلق) في كتب اللغة وكتب الاصطلاح، نجدّها تجتمع تحت معنى إيجاد شيء على غير مثال سابق مسوّى أحسن تسوية ومُقدراً خير تقدير، فهو إيجاد على كيفية مخصوصة وفق الإرادة والحكمة.

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1/ص618-619

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، ج7/ص16

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2/ص213

(4) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج4/ص535

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج10/ص85

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل، ج1/ص601-602

(7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص296

(8) الزمخشري، أساس البلاغة، ج1/ص264

(9) الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج3/ص1897

(10) الكفوي، الكليات، ص414

(11) العلامة المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج3/ص127-128

## ثانياً: مفردة "جعل" لغة واصطلاحاً

**جعل لغة:** قال الفراهيدي: "جَعَلَ جَعَلًا: صنع صنعًا، وجَعَلَ أَعْمُ، لِأَنَّكَ تَقُولُ: جَعَلَ يَأْكُلُ، وَجَعَلَ يَصْنَعُ كَذَا، وَلَا تَقُولُ: صَنَعَ يَأْكُلُ"<sup>(1)</sup>، وفصل الأزهري نقلًا عن أبي العباس عن ابن الأعرابي: "جَعَلَ: صَيَّرَ، وَجَعَلَ: أَقْبَلَ، وَجَعَلَ: خَلَقَ، وَيُقَالُ: جَعَلْتُهُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِعَمَلِهِ، أَيْ صَيَّرْتَهُ"<sup>(2)</sup>، وزاد ابن فارس: "الْحَيْمُ وَالْعَيْنُ وَاللَّامُ كَلِمَاتٌ غَيْرُ مُنْقَاسَةٍ، لَا يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا"، وأورد معاني الكلمات في هذا الباب ثم قال: "وَجَعَلْتُ الشَّيْءَ صَنَعْتُهُ"<sup>(3)</sup>، وفصل ابن سيده فقال: "جَعَلَ الشَّيْءَ يَجْعَلُهُ جَعَلًا، وَاجْتَعَلَهُ، كِلَاهُمَا: وَضَعَهُ، وَجَعَلَهُ يَجْعَلُهُ جَعَلًا: صَنَعَهُ، قَالَ مَبِيَّوِيهِ: جَعَلْتُ مَتَاعَكَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ: أَلْقَيْتَهُ، وَقَالَ مَرَّةً: عَمَلْتَهُ"<sup>(4)</sup>.

كذلك زاد الزبيدي مع الشواهد القرآنية فقال: "الْجَعْلُ بِمَعْنَى إِجَادِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَتَكْوِينِهِ مِنْهُ، نَحْوُ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل:72]، وبمعنى تَصْيِيرِ الشَّيْءِ عَلَى حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ، نَحْوُ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة:22]، وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّسْوِيَةِ وَالتَّهْيِئَةِ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد:8]، وبمعنى إِدْخَالَ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ [البقرة:19]، وبمعنى الإيقاع في القلب والإلهام، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [الحديد:27]<sup>(5)</sup>، إِلَّا أَنْ مَا ذَكَرَهُ الزَّبِيدِي يَنْدَرُجُ تَحْتَ بَابِ الْوَجُوهِ وَالنَّظَائِرِ، فَالنَّظِيرُ فِيهَا يَلْحَظُ بِأَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَجْتَمِعَ تَحْتَ مَعْنَى التَّصْيِيرِ وَلَكِنْ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي الْمَعْنَى الَّذِي يَتْرَكُهُ السِّيَاقُ فِي الْكَلِمَةِ.

يؤكد ما سبق ما ذكره جبل في المعنى المحوري للكلمة إذ قال: "هو تحويل الشيء إلى وضع أو هيئة معينة بعد تحول كتلته أو انتقالها"، ثم أضاف: "ومعنى جعل وما تصرف منها في القرآن يكون للتحويل والتهيئة على وضع، أو للخلق، وهو تحويل للهيئة بإنشاء هيئة جديدة" ثم ختم مقررًا عن ورودها في السياقات القرآنية: "كثير من سياقاتها التي بلغت نحو ثلاثمائة وخمسين موضعًا تسمح بأكثر من معنى"<sup>(6)</sup>، وقد يكون الأضبط أن يُقال بأن السياقات القرآنية المختلفة تكسب المفردة معنى إضافي على معناها الأصلي.

**أما جعل اصطلاحاً:** فقال الراغب: "جعل لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه: الأول: يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى؛ نحو جعل زيد يقول كذا، والثاني: يجري مجرى أوجد، فيتعدى إلى مفعول واحد ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:1]، والثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل:72]، والرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة:22]، والخامس: الحكم بالشيء على الشيء، حقًا كان أو باطلاً؛ فأما الحق فنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7]، وأما الباطل فنحو: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ [النحل:57]<sup>(7)</sup>، وما ذكره الراغب يوجه بمثل ما وجه به كلام الزبيدي فهذه المعاني مما يضيفه السياق للكلمة، وذلك بدلالة الآيات التي استشهد فيها الراغب، فسياقاتها مختلفة مما أضاف معاني إضافية للمعنى الأصلي للكلمة، كما أن المعنى الأخير الذي ذكره أكبر دليل على هذا، فمن المستبعد أن يُحمل لفظ (جعل) على هذا المعنى بل السياق من أفاده، وقريب منه ما ذكره عياض -ويوجه بذات التوجيه- إذ قال: "جاء جعل في كتاب الله تعالى والحديث لمعان كثيرة؛ بمعنى عمل، وهياً، وصير،

(1) الفراهيدي، العين، ج1/ص229

(2) الأزهري، التهذيب، ج1/ص240

(3) ابن فارس، المقاييس، ج1/ص260-261

(4) ابن سيده، المحكم، ج1/ص327

(5) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج28/ص208-209

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي، ج1/ص316

(7) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص196-197

وصار، وخلق، وحكم، وبيّن، وشرع وابتدأ وأكثر تصرفها بمعنى صار<sup>(1)</sup>، وذهب الحميري لقريب مما قاله الفراهيدي فقال: "جعل بمعنى صنع، إلا أن جعل أعم، وجعل: أي صير"<sup>(2)</sup>، وقال المناوي: "الجعل: بالفتح، إظهار أمر عن سبب وتصيير"، ثم أضاف: "جعل: لفظ عام في الأفعال أعم من صنع وفعل وأخواتهما، ويتصرف على خمسة أوجه"<sup>(3)</sup> معدداً الوجوه التي ذكرها الراغب الأصفهاني.

بينما الكفوي ذكر حكماً مجملاً فقال: "كل شيء في القرآن جعل فهو بمعنى خلق"<sup>(4)</sup>، ولا يُسلم له بهذا إن كان يقصد الترادف بينهما، وفي مقابل هذا جمع العلامة المصطفوي المعاني تحت أصل واحد فقال: "الأصل الواحد في هذه المادة هو ما يقرب من التقدير والتقرير والتدبير ويجمعها تصيير الشيء على حالة بعد الخلق والتكوين"<sup>(5)</sup>، ثم وجه الأمثلة التي ذكرها أصحاب المعاجم تبعاً للأصل الذي ذكره مُعلِّقاً في الختام: "والحاصل أن الجعل إنما يحقق مفهومه إذا استعمل منسوباً إلى آثار التكوين أو لوازمه أو خواصه أو فيما يتعلق عليه، وما يقال في تفسيره من الخلق والصنع والتسمية والإعطاء وغيرها هو تفسير بمناسبة المورد"<sup>(6)</sup>، وأكد هذا المعنى في إشارة للفرق بين الخلق والجعل فقال في الجعل: "النظر في المعنى يكون من جهة إحداث تعلق وارتباط"<sup>(7)</sup>، ويعتقد الباحثان أن العلامة المصطفوي يرمي إلى القول بأن مفردة (جعل) فيها معنى التصيير ولكنها قد ترد في سياقات تضيف لمعنى التصيير معنى آخر مما ذكره العلماء سابقاً.

مما سبق يظهر أن المعنى الجامع لما أورده أصحاب المعاجم وكتب الاصطلاحات هو حمل لفظ (جعل) على تصيير الشيء من حالة إلى حالة أخرى بعد الخلق والتكوين، ولا بدّ من الإشارة إلى أن خير من جمع معانيه العلامة المصطفوي ومحمد جبل.

#### ثالثاً: الفرق بين مفردتي (خلق) و(جعل)

قبل الحكم بالفرق بين المفردتين لا بدّ من وقفة مع كتب الفروق اللغوية التي قد تحمل مزيد بيان حول المفردتين؛ وقد درس العسكري المفردتين مفترقتين في كتابه، ومما قاله في (خلق) عند تفريقه بين الفعل والخلق والتغيير: "الخلق في اللغة التّغيير"<sup>(8)</sup> وقد أعاد كل المعاني واشتقاقات الكلمة إلى معنى التقدير، بينما أورد (جعل) عند الحديث عن الفرق بين الجعل والعمل، فقال: "الجعل تغيير بإيجاد الأثر في الشيء وبغير ذلك؛ ألا ترى أنك تقول جعل الطين خزفاً وجعل السّاكن متحرّكاً، وتقول عمل الطين خزفاً ولا تقول عمل السّاكن متحرّكاً؛ لأن الحركة ليست بأثر يُؤثر به في الشيء، والجعل أيضاً يكون بمعنى الإحداث وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] وجوز حملها على المعنى الأول؛ على معنى جعلها على هذه الصفة، ثم أضاف: "والجعل يدل على الاتصال؛ ولذلك جعل طرفاً للفعل فتستفتح به كقولك جعل يقول، وزاد: "وجاء بمعنى الخبر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلِيكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتِ﴾ [الزخرف: 19] أي أخبروا بذلك، وبمعنى الحكم في قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْنَاهُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: 19] أي حكمتم بذلك"، ليختم بقوله: "وله وجوه كثيرة أوردناها في كتاب الوجوه والنظائر"<sup>(9)</sup>، وهذا يؤكد ما سبق وأشرنا إليه بأن تعدد المعاني التي ذكرها عدد من أصحاب المعاجم وكتب الاصطلاح تعود لفكرة الوجوه والنظائر، التي تجعل لكل كلمة عدداً من المعاني حتى تشعر

(1) أبو الفضل، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج 1/ص 158

(2) الحميري، شمس العلوم، ج 2/ص 1114

(3) المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، ص 127

(4) الكفوي، الكليات، ص 330

(5) العلامة المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج 2/ص 105

(6) المرجع السابق، ج 2/ص 105-107

(7) المرجع السابق، ج 3/ص 128

(8) العسكري، الفروق اللغوية، ص 136-137

(9) المرجع السابق، ص 136

بأن كل الكلمات مترادفة، وهذا ما لا يترجح لدى الباحثين، بل يذهبان إلى اعتقاد أن للكلمة معنى واحد تدل عليه، لكن السياق هو الذي يكسبها معاني زائدة.

وإذا كان العسكري لم يفرق بين الكلمتين على وجه التحديد، فإن الأب هنريكوس فرق بينهما فقال: "الخلق؛ تقدير وإيجاد وقد يقال للتقدير من غير إيجاد"، بينما الجعل: "إذا تعدى إلى مفعولين يكون بمعنى التصيير، وإذا تعدى إلى مفعول واحد يكون بمعنى الخلق والإيجاد"<sup>(1)</sup>، فهو ابتداءً بالتفريق ثم أعاد الكلمة إلى معنى الخلق في حال اللزوم، وكان إسماعيل حقي أكثر تحديداً فقال: "الخلق إيجاد بغير مادة، والجعل بمادة"<sup>(2)</sup>، فهو هنا يشير إلى أن الخلق يكون على غير مثال سابق بخلاف الجعل، وأطال في التفريق بينهما الدكتور محمد داوود ناقلًا بعض الفروقات عن المعاجم والمفسرين، وخالصة ما توصل إليه أن: "المفردتين تشتركان في معنى إحداث الشيء، بينما خلق فيها معنى التقدير والأولية في الابتداء، بينما الجعل فيه معنى التضمين والتهيئة من شيء سابق"<sup>(3)</sup>، وهذا قريب مما أشار إليه إسماعيل حقي.

وقد يكون بما سبق قد تجلى الفرق بين المفردتين، ولكن قد يزيدهما جلاء النظر في عددٍ من السياقات القرآنية، فقد تكرر اجتماع المفردتين في سياق واحدٍ عشر مراتٍ، تقدّم فيها (خلق) على (جعل) في جميع المواضع باستثناء مرتين، وقد يكون في هذا مزيد ترجيح أن في خلق معنى الإيجاد على غير مثال سابق وفيه معنى الأولية في الإيجاد، بينما في جعل معنى التصيير والتهيئة لشيء موجود فيكون بهيئة جديدة.

أما الآيتان اللتان اللتان تقدّم فيهما جعل على خلق فمن الممكن أن يكون مخرجهما كما يأتي؛ أن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 5]، إنما تقدم (جعل) في هذه الآية لأن الفعل (خلق) هنا جاء كتعقيب على المقطع بأكمله على معنى؛ أن الله تعالى خلق كل المخلوقات المذكورة سابقاً بما تضمنته من تغييرات وتصير لها بعد الخلق لحالٍ بعد حالٍ لحكمة وغاية، لذا قال الألوسي: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ البناء للملابسة أي ما خلق ذلك ملتبساً بشيء من الأشياء، إلا ملتبساً بالحق مُراعياً فيه الحكمة والمصلحة أو مراعي فيه ذلك<sup>(4)</sup>، وزاد ابن عاشور: "جملة ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مستأنفة كالنتيجة للجملة السابقة كلها؛ لأنه لما أخبر بأنه الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وذكر حكمة بعض ذلك، أفضى إلى الغرض من ذكره وهو التنبيه إلى ما فيها من الحكمة، ليستدل بذلك على أن خالقهما فاعل مختار حكيم ليستفيق المشركون من غفلتهم عن تلك الحكم"<sup>(5)</sup>.

وأما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: 81]، فيتجلى معنى التصيير في (جعل)؛ فمن كرم الله تعالى عليهم أنهم يتخذون من بعض مخلوقاته ظلالاً يستظلون بها، فلولا أن خلق هذه المخلوقات كان أمراً سابقاً، لما اتخذوها ظلالاً.

فمن مجموع ما سبق يظهر بأن معنى الخلق: هو ابتداء إيجاد شيء على غير مثال سابق خلقاً مسوّى أحسن تسوية ومقدراً أحسن تقدير على كيفية مخصوصة لحكمة، بينما الجعل: ففيه معنى تصيير الشيء من حالة إلى حالة أخرى بعد الخلق والنكويين، وقد ميّز الدكتور فضل عباس في المقارنة بين الفعلين في الاستعمال القرآني ذاكراً أن (الخلق) يُستخدم حينما يكون السياق حديثاً عن قدرة الله

(1) لامنس، فرائد اللغة، ج1/ص3

(2) الحقي، الفروق، ص164

(3) داوود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص184-186

(4) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج6/ص68

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11/ص96

تعالى، بينما (جعل) يستخدم حينما يكون السياق حديثاً عن النعمة، مستدلاً على هذا بعدد من الآيات القرآنية<sup>(1)</sup>، وتتجلى القدرة بالإيجاد على غير مثال سابق، بينما تتجلى النعمة بتصيير الأشياء من حال إلى حال وفقاً للمصلحة، والله أعلم.

### المطلب الأول: دلالة (خلق) في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، والمراد بالنفس الواحدة.

إن الناظر في كتب التفسير والمطلع على آراء العلماء حول هذه الجملة من الآية، يجد أنها تدور حول ثلاث مسائل؛ أولها: المقصود بالنفس الواحدة، وثانيها: معنى (من) في خلق منها، وثالثها: علاقة حديث رسول الله ﷺ: "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع"<sup>(2)</sup> بتفسير هذه الآية، وبناءً على هذا سيكون الحديث في هذا المطلب عن هذه المسائل الثلاث مع وقفة مع أداة العطف المستخدمة في الآية.

#### أولاً: القول في معنى النفس:

انقسمت الأقوال حول المقصود بالنفس الواحدة إلى قولين رئيسين؛ أولهما أن المقصود آدم عليه السلام، وثانيهما أن المقصود وحدة الجنس أو (الإنسانية)، وكان لكل قول أدلته وبراهينه التي يدل بها على رأيه.

#### الفريق الأول: النفس هي آدم عليه السلام.

ذهب أكثر المفسرين إلى هذا القول والناظر في تفسير الطبري يجده عند التقديم لسورة النساء يقول مؤكداً هذا المعنى: "وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنثام من شخص واحد"، ثم ذكر نتائج هذا الاجتماع في النسب في تأكيد لفكرة أن الخلق هم من آدم عليه السلام فقال: "فجميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وبعضهم من بعض، وحق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة"<sup>(3)</sup>، وأعقبه بذكر عدد من أقوال التابعين على أن النفس هنا هي آدم عليه السلام<sup>(4)</sup>، وذهب السمرقندي لمثل هذا<sup>(5)</sup>، وتابعهما الماوردي قائلاً: "وفي ذلك نعمة عليكم لأنه أقرب إلى التعاطف بينكم"<sup>(6)</sup>، وعبر الزمخشري عن هذا الرأي قائلاً: "فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم"، ثم أضاف جمعاً بين معنى الأمر بالتنقيح والخلق من نفس واحدة: "اتقوا ربكم الذي وصل بينكم، حيث جعلكم صنواً مفرعة من أرومة واحدة، فيما يجب على بعضكم لبعض، فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه، وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة"<sup>(7)</sup>، فكان الزمخشري هنا يبين فضيلة أن نكون منتسبين لأصل واحد يعود إلى آدم عليه السلام.

كذلك رجح ابن عطية أن النفس هي آدم عليه السلام<sup>(8)</sup>، ونسب الرازي هذا القول لإجماع المسلمين<sup>(9)</sup>، ويفهم ترجيح هذا القول عند أبي حيان بقوله: "وفي قوله: من نفس واحدة إشارة إلى ترك المفاخرة والكبر، لتعريفه إياهم بأنهم من أصل واحد ودلالة على

(1) انظر: عباس، لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص 125-126

(2) انظر: البخاري، صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ خلق آدم وذريته، ص 817: حديث (3331)، وكتاب النكاح/ المدارة مع النساء، بلفظ (كالضلع،

ص 1320: حديث (5184)، وباب الوصاة بالنساء، بلفظ (من ضلع، ص 1321: حديث (5186)

- وانظر: مسلم، صحيح مسلم، الرضاع/ الوصية بالنساء، بلفظ (كالضلع، ص 672-673: حديث (1468)، ولفظ (من ضلع بروايتين ص 673: حديث (1468)

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 6/ص 339

(4) انظر: المرجع السابق، ج 6/ص 339-340

(5) انظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج 1/ص 328

(6) الماوردي، النكت والعيون، ج 1/ص 446

(7) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 214-215

(8) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2/ص 3

(9) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 9/ص 477

المعاد، لأن القادر على إخراج أشخاص مختلفين من شخص واحد فقدترته على إحيائهم بطريق الأولى<sup>(1)</sup>، ووافقهم الثعالبي<sup>(2)</sup>، ولم يبتعد أبو السعود عن هذا الرأي إلا أنه قدّم نتائج كونهم قد خلقوا من آدم عليه السلام فقال: "إن جعله تعالى إياهم صنواً مفرعة من أرومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة"<sup>(3)</sup>، وذهب الألوسي لقريب مما قاله أبو السعود مضيفاً أن خلقهم من أصل واحد يدعو للشكر على هذه النعمة<sup>(4)</sup>، وتابعهم القاسمي<sup>(5)</sup>، وابن عاشور<sup>(6)</sup>. وقد صرح أبو زهرة بترجيح هذا القول قائلاً: "النفس الواحدة هي آدم أبو الأناسي في هذا الوجود، والمعنى على هذا الكلام يتطابق مع قول النبي ﷺ: "كلكم لآدم وأدم من تراب"<sup>(7)</sup>، وهذا نظر الأكثرين من المتقدمين، وهو الذي يتلاقى مع قوله بعد ذلك: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْجَهَا وَبَيْتٌ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1]<sup>(8)</sup>، وكذلك صرح الزحيلي بهذا القول ونسبه إلى جمهور العلماء<sup>(9)</sup>، فالناظر فيما سبق من الأقوال يجد الأكثرية من المفسرين يذهبون إلى القول بأن المقصود بالنفس هنا هو آدم عليه السلام.

تجدد الإشارة إلى أن إشكالاً ثار حول هذا القول فيما يتعلق بتأنيث النعت (واحدة) رغم كون المقصود بالنفس آدم عليه السلام، وقد أورد المفسرون توجيهاً للمسألة فقالوا: "أنث النعت لتأنيث النفس والمعنى"، قاله الطبري والسمعاني<sup>(10)</sup>، وفي عودة لكتب أهل اللغة تجد تأصيلاً للمسألة إذ قالوا: "النفس إذا أريد بها إنساناً بعينه فهي مُذكر، ولكن إن أريد بها الروح فهي مؤنثة لا غير، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾<sup>(11)</sup>، وقيل كذلك: "إن العرب قد تترك حكم ظاهر اللفظ وتحمله على المعنى واستدلوا بالنفس؛ فهي مؤنثة وحملت على معنى الإنسان أو الشخص"<sup>(12)</sup>، فيبدو من هذا أن لفظ (النفس) توثت وتذكر؛ وعليه فمن أنث النعت راعى المعنى، ومن ذكر النعت راعى الأصل، وليس لمن استنكر تأنيثها رغم كون المقصود بالنفس آدم عليه السلام مورداً هنا.

#### الفريق الثاني: النفس هي الإنسانية.

رفض أصحاب هذا الفريق أن يكون المقصود بالنفس الواحدة آدم عليه السلام، وكان أول من صرح بهذا القول بحسب اطلاع الباحثين - محمد عبده فيما نقله عنه تلميذه محمد رشيد في تفسير المنار إذا قال: "قال الأستاذ الإمام: ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر، والقرينة على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم قوله: ﴿وَبَيْتٌ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بالتكثير، وكان

(1) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج3/ص494

(2) انظر: الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج2/ص159

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج2/ص138

(4) انظر: الألوسي، روح المعاني، ج2/ص391

(5) انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج3/ص5

(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4/ص215

(7) أورد أبو زهرة هذا النص وذكر في الهامش توثيقه في عدد من كتب الحديث، وقد راجع الباحثان أرقام الأحاديث التي ذكرها فلم يكن فيها نص ما ذكره، ولكن وجداً أحاديث أخرى بنص قريب مما ذكره، وهي أجزاء من أحاديث مختلفة كان منها؛ (الناس بنو آدم، وأدم من تراب انظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج8/ص403-404: حديث(8721)، وعلق المحقق: إسناده صحيح، وانظر: الترمذي، سنن الترمذي، ج5/ص734: حديث(3955)، وزاد(الناس كلهم.. وعلق الترمذي؛ وهذا حديث حسن غريب، و ج5/ص735: حديث(3956)، وعلق الترمذي؛ وهذا حديث حسن صحيح، وهذا أصح عندنا من الحديث الأول وسعيد المقبري قد سمع أبا هريرة ويروي عن أبيه أشياء كثيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أو (أنتم بنو آدم، وأدم من تراب انظر: أبو داود، سنن أبي داود، ج7/ص438: حديث(5116)، وعلق المحقق: صحيح لغيره وإسناده حسن.

(8) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج3/ص1575

(9) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، ج4/ص223

(10) الطبري، جامع البيان، ج6/ص340

- والسمعاني، تفسير القرآن، ج1/ص393

(11) الأنباري، المنكر والمؤنث، ج1/ص405-407

(12) الثعالبي، عبد الملك، فقه اللغة وسر العربية، ص230

المناسب على هذا الوجه أن يقول: وبث منهما جميع الرجال والنساء"، ثم انتقل للاستشهاد بقضايا تاريخية فقال: "كيف ينص على نفس معهودة والخطاب عام لجميع الشعوب، وهذا العهد ليس معروفًا عند جميعهم، فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما، وهذا النسب المشهور عند ذرية نوح مثلًا هو مأخوذ عن العبرانيين، فإنهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخًا متصلًا بآدم، وحددوا له زمنًا قريبًا"<sup>(1)</sup>، فأدلته على نفي القول كما لخصها تلميذه في أمرين؛ أولهما أنّ ظاهر الآية يأبى أن يكون المراد بالنفس آدم سواء كان أبو البشر أم لا؛ للتكثير ولمعارضة هذا القول للمباحث التاريخية والعلمية، أما ثانيهما فهو عدم ورود نصّ قطعيّ على أن جميع البشر من ذرية آدم عليه السلام<sup>(2)</sup>، ولا بدّ من التنبيه على أنه لا يقول بأنّ القرآن ينفي كون آدم أبو البشر، لكنّه يقول بأنّ القرآن لا يُثبتُه إثباتًا قطعيًا، وبالتالي فالكلام يحتمل التأويل.

وقد تابع محمد رشيد أستاذه في نفي أن تكون النفس الواحدة هي آدم عليه السلام مُقرًا أنّ هذا ما هو إلّا من المسلمات عند من قال به، ثمّ بيّن رأيه فقال: "إنّ المتبادر من لفظ النفس أنّها هي الماهية، أو الحقيقة التي كان بها الإنسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات، أيّ خلقكم من جنس واحد، وحقيقة واحدة"، ثمّ أتمّ قوله: "فجميع الناس هم من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناسًا، فهي مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر"، ليربط بعد ذلك بين هذا المعنى وتناسبه مع المعاني المطروحة في السورة قائلًا: "هذا المعنى هو المراد من تكثير الناس بأنهم من نفس واحدة؛ لأنه مقدمة للكلام في حقوق الأيتام، والأرحام، وليس كلامًا مستقلًا لبيان مسائل الخلق والتكوين بالتفصيل"<sup>(3)</sup>، وقد تابع المراغي أستاذه محمد عبده في هذا القول<sup>(4)</sup>، فملخص ما ذهبوا إليه أنّهم رأوا أنّ النفس هنا تدل على الإنسانية الواحدة التي تجمع البشرية معًا.

وتجدر الإشارة إلى أنّ محمد رشيد ذهب لرأي غريب واحتمال مستبعد؛ إذ نكر من معنى (النفس) أنّها الأنثى بدليل تأنيثها أينما وردت<sup>(5)</sup>، وهذا ما لا يُوافق عليه بدلالة عدم صحة مثل هذا التفسير مع عموم الآيات التي جاءت فيها مفردة (النفس) ولم تكن في كلّ موضع تدل على التأنيث كما زعم، وقد أوضح الباحثان سابقًا ما يتعلق بالنفس وقضية التأنيث والتذكير فيه.<sup>(6)</sup>

#### ثانيًا: الأقوال في معنى (من):

يمكننا القول إنّ الاختلاف في معنى النفس قاد لاختلاف في معنى (من) على أقوال؛ أحدها: أنّها تبعيضية، وثانيها: أنّها بيانية، وكان الإشكال والجدال الأطول في حملها على التبعيضية وكونها من ضلع آدم عليه السلام استشهادًا بالحديث الوارد في صحيح بخاري ومسلم السابق الإشارة له<sup>(7)</sup>، وهناك رأي ثالث على قلة القائلين به ذهب لحملها على معنى الابتدائية، وبناءً على هذا سيتم الوقوف مع كل قولٍ من هذه الأقوال.

(1) رضا، تفسير المنار، ج4/ص323-324

(2) انظر: المرجع السابق، ج4/ص326

(3) المرجع السابق، ج4/ص327

(4) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج4/ص175

(5) انظر: رضا، تفسير المنار، ج4/ص331

(6) انظر: ص 9 من البحث.

(7) انظر: ص 8 من البحث.

## الفريق الأول: (من) تحمل على معنى التبعية.

ذهب الطبري للقول بأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام، مستشهداً بعدد من الأقوال عن مجاهد وقتادة والسدي<sup>(1)</sup>، وذهب لمثل هذا السمرقندي وزاد أن أحد أسباب تسميتها حواء: "أنها خلقت من حي"<sup>(2)</sup>، ونُسب هذا التعليل لابن عباس<sup>(3)</sup>، وزاد الماوردي محدداً الضلع فقال: "خلقت من ضلع آدم، وقيل الأيسر، ولذلك قيل للمرأة: ضلع أعوج"<sup>(4)</sup>، بينما نقل ابن عطية القول بأنها مخلوقة من ضلع عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة، مع ذكره لاحتمال أن يكون الضلع الأيمن أو الأيسر، واستدل على صحة المعنى بدليل قول الرسول ﷺ: "إن المرأة خلقت من ضلع"<sup>(5)</sup>،<sup>(6)</sup> وبين الرازي أن هذا القول هو الذي عليه الأكثر<sup>(7)</sup>، ووافقهم الثعالبي<sup>(8)</sup>، وأيده أبو السعود عندما علل تكرار فعل (خلق) بقوله: "لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت، فإن الأول بطريق التفرع من الأصل، والثاني بطريق الإنشاء من المادة"<sup>(9)</sup>، ويمثل قوله قال الألويسي<sup>(10)</sup>، والقصد بالخلق الذي على التفرع خلق ذرية آدم عليه السلام، وأما الذي على الإنشاء فهو خلق حواء ومعنى إنشائها من المادة؛ أي من ضلع آدم عليه السلام.

كما نقل ابن عاشور أن (من) تُحمل على معنى التبعية ذاهباً إلى أن: "معنى التبعية أن حواء خلقت من جزء من آدم عليه السلام"، ثم قال: "وقيل: فصلت قطعة من ضلعه وهو ظاهر الحديث الوارد في الصحيحين"، إلا أنه كذلك ذكر من الاحتمالات لمعنى التبعية: "أن تكون من بقية الطينة التي خلق منها آدم"<sup>(11)</sup>، لكن قد يؤخذ على ابن عاشور أن هذا القول استدلل به القائلون بأنها من ذات جنس آدم، وهو يرفض هذا الرأي بدليل قوله: "من قال: إن المعنى وخلق زوجها من نوعها لم يأت بطائل، لأن ذلك لا يختص بنوع الإنسان فإن أنثى كل نوع هي من نوعه"<sup>(12)</sup>، ورجح الزحيلي القول بأنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام، وذلك تبعاً للحديث الصحيح رافضاً القول الآخر.<sup>(13)</sup>

ولا بد من الإشارة إلى أن الرازي نقل لأصحاب هذا الرأي دليلاً استدلوا به على قوة رأيهم فقال نقلاً عن القاضي أن هذا الرأي أقوى وذلك: "لكي يصح قوله: خلقتكم من نفس واحدة؛ إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداءً لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة"<sup>(14)</sup>، بمعنى أنه حتى يصح أن تكون مخلوقين من نفس واحدة، فلا بد وأن تكون حواء قد خلقت من آدم عليه السلام. وقد ناقش أصحاب هذا القول أقوال الفريق الثاني ومن ذلك؛ أن السمين الحلبي رأى أن في القول بأن (منها) تعود على الطينة التي بقيت من خلق آدم عليه السلام فخلقت منها حواء قول مرغوب عنه<sup>(15)</sup>، كما أنكر الألويسي هذا القول وبين الفائدة من كون حواء خلقت من ضلع قائلاً: "إن فائدة ذلك سوى الحكمة التي خفيت عنا، فيها إظهار أنه سبحانه قادر على أن يخلق حياً من حي

(1) انظر: الطبري، جامع البيان، ج6/ص341-342

(2) السمرقندي، بحر العلوم، ج1/ص328-329

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج9/ص478

(4) الماوردي، النكت والعيون، ج1/ص446

(5) سبق تخريج مثله، انظر ص8 من البحث.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2/ص4

(7) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج9/ص477

(8) انظر: الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان، ج2/ص159

(9) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2/ص138

(10) انظر: الألويسي، روح المعاني، ج2/ص392

(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4/ص215

(12) المرجع السابق، ج4/ص215

(13) انظر: الزحيلي، التفسير المنير، ج4/ص224

(14) الرازي، مفاتيح الغيب، ج9/ص478

(15) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج3/ص552

لا على سبيل التوالد، ولو كانت القدرة على الخلق من التراب مانعة عن الخلق من غيره لعدم الفائدة، لَخَلَقَ الجميع من التراب بلا واسطة، لأنه سبحانه- كما أنه قادر على خلق آدم من التراب- هو قادر على خلق سائر أفراد الإنسان منه أيضًا، واشتد في طلب ردِّ من الفريق الآخر قائلاً: "فما هو جوابكم عن خلق الناس بعضهم من بعض مع القدرة على خلقهم كخلق آدم عليه السلام، فهو جوابنا عن خلق حواء من آدم عليه السلام مع القدرة على خلقها من تراب"<sup>(1)</sup>، فأصحاب هذا القول استندوا على المعنى اللغوي ل(من)، وعلى الحديث الصحيح في البخاري ومسلم، وعلى التسليم للحكمة الإلهية في هذا الأمر بعد الاستدلال العقلي عليه.

**الفريق الثاني: (من) تحمل على معنى البيانية.**

إنَّ حمل (من) على البيانية قُصد فيه؛ أنَّ حواء من جنس آدم ولكنهم كانوا يشيرون لهذا إما بأنَّها مخلوقة من تراب مثله، أو على معنى أنَّها من ذات جنسه، وقد نقل السمعاني القول بخلقها من تراب على تضعيف له<sup>(2)</sup>، بينما ذهب ابن عطية إلى أنَّ اللفظ يحتمل أن تكون قد خلقت من جنسه كما يحتمل القول الأول<sup>(3)</sup>، وذكر الرازي هذا القول ونسبه لأبي مسلم الأصفهاني قائلاً: "وخلق منها زوجها أي من جنسها؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: 72]، وكقوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164]، وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128]"، والدليل على رأيهم: "أنَّه تعالى قادر على خلق حواء من التراب كما خلق آدم عليه السلام، فأبي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم؟"<sup>(4)</sup>، كما زُدد على من زعم أنَّ قولهم يقتضي أن تكون مخلوقين من نفسين بقول الرازي: "كلمة (من) لابتناء الغاية، ولما كان ابتداء التخليق والإيجاد وقع بآدم عليه السلام صح أن يقال: خلقكم من نفس واحدة"<sup>(5)</sup>، وكأنَّ الرازي برده على الاعتراضات حول قول الأصفهاني يرجح قوله في معنى (من) ويكون المعنى؛ أنَّ مبتدأ الخلق من آدم عليه السلام الذي هو (النفس الواحدة) وعليه لا يضرَّ اعتبار أنَّ حواء خلقت من تراب كما خُلِق آدم عليه السلام، وبهذا يبقى معنى كوننا مخلوقين من نفس واحدة قائم.

وقد زاد أبو حيان أنَّ من ذهب لهذا القول فالمعنى عنده على تقدير؛ وخلق من جنسها زوجها، ونسبه لأبي مسلم وابن بحر، وأضاف أنَّ الضمير في (منها) عندهم؛ عائد على الطينة التي فصلت عن طينة آدم وخلقها منها حواء<sup>(6)</sup>، وذهب القاسمي إلى ترجيح أنَّها مخلوقة من جنسه وعله ترجيحه أنَّها خلقت من جنسه: "ليكون بينهما ما يوجب التآلف والتضام، فإنَّ الجنسية علة الضم، وقد أوضح هذا بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]"<sup>(7)</sup>.

أمَّا محمد رشيد فتبعا لما رآه في معنى النفس ذهب لترجيح أنَّ معنى خلق منها؛ أي من جنسها، معترضاً على تفسير أن تكون مخلوقة من ضلعه، ذاهباً إلى أنَّ من قال بهذا فعليه ألا يلصقه بالآية لأنها لا تدل عليه، وأنَّ هذا كما يقول هو فقط من الثابت في سفر التكوين ولا علاقة للقرآن به<sup>(8)</sup>، وكذلك تابعه المراغي في هذا الرأي ناقلاً لذات الكلام<sup>(9)</sup>.

بينما رجَّح الدكتور إبراهيم خليفة أن المعنى في الآية يُحمل على أنها من ذات جنسه، مع ترجيحه لكون النفس هي آدم عليه السلام، ورفض القول بأنَّها خلقت من ضلع لما يترتب عليه من مفساد منها كما يقول؛ أن تكون المرأة متعددة الخلق بتعدد زواجها

(1) الألويسي، روح المعاني، ج2/ص392

(2) انظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج1/ص393

(3) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2/ص4

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، ج9/ص478

(5) المرجع السابق، ج9/ص478

(6) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج3/ص494-495

(7) القاسمي، محاسن التأويل، ج3/ص6

(8) انظر: رضا، تفسير المنار، ج4/ص330

(9) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج4/ص176-177

إذا تزوجت أكثر من مرة<sup>(1)</sup>، ثم ردّ على القول بأنّ هذا يترتب عليه أن نكون مخلوقين من نفسين برّدَ طويل مُلخصه؛ أنّ هذا لا يستقيم لأن ماء الرجل هو الأصل الأصيل في التكوين، وبويضة المرأة بالنسبة لأصاله الماء تبع ووعاء، فلذا صح نسبة الخلق إليه، ولكن نُسب البث على جهة التناسل للزوجين جميعًا، ويكون المعنى؛ خلقكم من نفس واحدة هي الأصل الأصيل في التكوين ومع ذلك لا بد من الزوج معها للتناسل، ثمّ أتمّ بآته في هذا؛ تارة روعي الأصل الأصيل فنسب الخلق للنفس الواحدة، وتارة روعي كون المرأة سببًا في النسل فنسب الخلق للزوجين، أمّا الدليل الآخر على ترجيح كلامه فهو حمله للحديث على معنى التمثيل لا على حقيقة الخلق من الضلع، لكون الحديث يتحدث عن الروح والعقل لا مادة الخلق، وأنّه يتحدث عن المرأة بشكل عام لا عن حواء، ولو صح التسليم بأنّ حواء خلقت من ضلع فالنساء بعدها لم يخلقن من ضلع، بل هنّ خلقن من ماء الرجل وبويضة المرأة، خاتمًا أنّ كل ما يتعلق بخلق حواء ما هو إلاّ إسرائيليات لا يعول عليها<sup>(2)</sup>، وقد سبق أبو حيان الدكتور خليفة في احتمالية حمل الحديث على التمثيل إذ قال: "ويحتمل أن يكون ذلك على جهة التمثيل لاضطراب أخلاقهن، وكونهن لا يثبتن على حالة واحدة، أي: صعوبات المراس، فهي كالضلع العوجاء كما جاء خلق الإنسان من عجل، ويؤيد هذا التأويل قوله: إن المرأة، فأتى بالجنس ولم يقل: إن حواء"<sup>(3)</sup>، فأصحاب هذا القول ذهبوا إلى حمل معنى (من) على البيانية لتكون دالة على ماهية حواء، أو لنقل طبيعة خلقه حواء.

### الفريق الثالث: (من) تحمل على معنى الابتدائية.

أشار لهذا المعنى أبو حيان بقوله: "وزوجها: حواء، وظاهر منها ابتداء خلق حواء من نفسه، وأنّه هو أصلها الذي اخترعت وأنشئت منه، وبه قال: ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وقتادة"<sup>(4)</sup>، وقّرّه ابن عاشور ويبدو أنّه يرجحه على غيره، إذ قال: "ورد في الحديث: أن حواء خلقت من ضلع آدم، فلذلك يكون حرف (من) في قوله: وخلق منها للابتداء، أي أخرج خلق حواء من ضلع آدم"<sup>(5)</sup>، فهي عندهما مخلوقة من ضلع آدم حتى لو حملت (من) على الابتدائية، بينما الدكتور إبراهيم خليفة حملها على الابتدائية لكنّه رفض أن يكون المعنى بأنّها خلقت من ضلع آدم بل رجّح القول بأنّ المقصود أنّها من ذات جنسه<sup>(6)</sup>، ويكون معنى الابتدائية على رأيه أيّ ابتداء خلقها خلقًا مشابهاً لخلق آدم عليه السلام.

### ثالثًا: العطف بـ(واو العطف):

جاء العطف في جملة ﴿وَوَخَّلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بالواو الدالة على مطلق الجمع بلا ترتيب وهي أمّ باب العطف<sup>(7)</sup>، وقد دار الحديث عند المفسرين حول وجودها هنا مع كون حواء سبقت في الوجود ذرية آدم فكيف تعطف عليهم؟، ومن هنا ذُكر في عطفها ثلاثة أقوال؛ أولها: أنّها عُطفت على محذوف، فقال الزمخشري: "كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى: شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها"<sup>(8)</sup>، فقدّر محذوفًا مراعاةً للترتيب الوجودي؛ ذلك أن خلق حواء (الزوج) كان قبل خلق الذرية.

ورأى أبو حيان أنّ في هذا القول تكلفًا لوجود قول آخر تسوغه العربية وهو القول الثاني<sup>(9)</sup>، ومُلخصه: أنّها عطف على (خلقكم) وتكون داخل حيز الصلة فالواو لا تدل على ترتيب زمني، وبالتالي فلا إشكال يترتب على عطف خلق حواء على خلق من جاء

(1) انظر: خليفة، التفسير التحليلي لسورة النساء، ج1/ص162

(2) انظر: المرجع السابق، ج1/ص163-165

(3) أبو حيان، البحر المحيط، ج3/ص494

(4) المرجع السابق، ج3/ص494

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4/ص216

(6) انظر: خليفة، التفسير التحليلي لسورة النساء، ج1/ص144

(7) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2/ص408-409

(8) الزمخشري، الكشاف، ص215

(9) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج3/ص495

بعدها، وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 21] وخلق من جاء بعدهم تأخر عن خلق من قبلهم<sup>(1)</sup>، أما الثالث فمفاده: أَنَّهَا عَطَفَتْ عَلَى مَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ (واحدة) والتقدير: (من نفس وحدت) أي؛ انفردت، فالعرب تقول: (وحد، يحد، وحدا وحدة) بمعنى انفرد، نقله أبو حيان<sup>(2)</sup>.

مما سبق يمكن القول إنَّ الوجه الذي ذكره أبو حيان قد يكون الأبلغ ما دام لعطفها على (خلقكم) وجه في العربية، وما دام من المعروف بديهياً كما قال أبو السعود: "أنَّ تفرُّع الفروع من أصل واحد يستدعي إنشاء ذلك الأصل لا محالة"<sup>(3)</sup>، فمن المفهوم ضمناً أنَّ وجود الفرع (ذرية آدم) يتوقف على وجود الأصل (حواء) وبالتالي لا حاجة لتقدير محذوف وعطف الجمل عليه، وزاد ابن عاشور: "عطف ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ على ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فهي صلة ثانية، وفي معاني هذه الصلوات زيادة تحقيق اتصال الناس بعضهم ببعض، وتفصيل لكيفية خلق الله تعالى الناس من نفس واحدة"<sup>(4)</sup>، وفي بيان هذه الصلوات دليلٌ على قدرة هذا الإله الذي يستحق أن يُتقى.

#### رابعاً: علاقة الحديث بالآية والقول الراجح:

لا بدَّ من الوقوف مع الحديث المتعلق بخلق المرأة والذي كان دليلاً للفريقين على اختلاف وجه الاستدلال عند كلِّ فريق؛ إذ حملة الفريق الأول على الحقيقة، وحملة الفريق الثاني على التمثيل، وقد ورد الحديث بروايات متعددة في الصحيحين؛ وأول هذه الروايات في البخاري وهي إحدى روايات مسلم، قال رسول الله ﷺ: "استوصوا بالنساء، فإنَّ المرأة خُلقت من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوجَّ شيءٍ في الضِّلَعِ أعلاه، فإنَّ ذهب تقيمه كسرته، وإنَّ تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء"<sup>(5)</sup>، كما اختلفت الصيغ في روايات أخرى في الصحيحين؛ فورد الحديث بصيغة (من ضِلَعٍ)، وبصيغة (كالضِّلَعِ)<sup>(6)</sup>، وببعض الزيادات أحياناً ومنها ما ورد في أحد الروايات في صحيح مسلم: (إنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ)<sup>(7)</sup>.

لكن قبل الوقوف مع كتب شروح الحديث لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ إيراد الحديث وربطه بتفسير الآية كان من قبيل اجتهاد المفسرين، وقد يكون هذا ما دفع أصحاب مدرسة المنار إلى الاعتراض الشديد على ربط الحديث بالآية، إضافة لكونهم في الأصل قلماً يعتمدون على الأحاديث في تفسيرهم.

وإنَّ نظرة في كتب شراح الحديث تجعلك تدرك أنَّ منها من حمل المعنى على أنَّ حواء خُلقت من ضلع آدم عليه السلام كما في فتح الباري<sup>(8)</sup>، والأقوال التي نقلها صاحب عمدة القاري<sup>(9)</sup>، والنووي في المنهاج<sup>(10)</sup>، ولكن هناك من أشار لمعنى التمثيل كالقول الذي نقله العيني وإن كان يبدو أنه يُضعفه إذ قال: "قيل: الحديث لم يذكر فيه النساء إلا بالتمثيل بالضلع والاعوجاج الذي في أخلاقهن منه، لأن للضلع عوجاً فلا يتهاى الانتفاع بهن إلا بالصبر على اعوجاجهن"<sup>(11)</sup>، وذكر المباركفوري في شرحه لصحيح مسلم هذا

(1) انظر: المرجع السابق، ج3/ص495

(2) انظر: المرجع السابق، ج3/ص495

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2/ص138

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4/ص215-216

(5) انظر: البخاري، صحيح البخاري، ص817: حديث(3331)، وانظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ص673: حديث(1468)

(6) انظر: البخاري، صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، خلق آدم وذريته، ص817: حديث(3331)، وكتاب النكاح، المداراة مع النساء، بلفظ (كالضلع، ص1320: حديث(5184)، وباب الوصية بالنساء، بلفظ (من ضلع)، ص1321: حديث(5186)، وانظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، الوصية بالنساء، بلفظ(كالضلع، ص672-673: حديث(1468)، ولفظ (من ضلع بروايتين ص673: حديث (1468)

(7) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ص673: حديث(1468)

(8) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج6/ص444-445+ ج9/ص313-315

(9) انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج15/ص212، و ج20/ص165-166

(10) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج10/ص57

(11) العيني، عمدة القاري، ج15/ص213

المعنى كأحد الأقوال فقال: "قيل: هذا على طريق التشبيه، أي إنها مجبولة على اعوجاج في الطبع مثل اعوجاج الضلع"<sup>(1)</sup>، وقال في شرح (كالضلع): "قوله: (إن المرأة كالضلع) الضلع بكسر ففتح واحد الأضلاع، وهي عظام الجنين، شبهت بها المرأة في الاعوجاج، فإذا أردت أن تجعل هذه العظام مستقيمة فإنها لا تستقيم بل تنكسر فكذا المرأة"<sup>(2)</sup>.

فلو أنعمنا النظر في الأحاديث مجتمعة وخاصة بورودها مرة بـ(من) ومرة بـ(الكاف)، ومع نظرة في معجم مقاييس اللغة الذي ذهب إلى أن أصل (ضلع) يدل على ميل واعوجاج<sup>(3)</sup>، فإن النظر في هذه الجوانب يجعل الباحثين يذهبوا للقول؛ بأن لفظ الحديث قد يُحمل على التمثيل أكثر من الحقيقة؛ فورد رواية بحرف الجرّ (من) الذي من معانيه بيان الجنس<sup>(4)</sup>، وورد رواية أخرى بحرف (الكاف) الدال على التشبيه<sup>(5)</sup> وفي التشبيه زيادة بيان مما يجعل الروايات متكاملة مع بعضها، إضافة لذلك فإن عبارات بعض الأحاديث قد تزيد من ترجيح معنى التمثيل؛ كالزيادة في رواية مسلم (إن تستقيم لك على طريقة)، والحديث عن تقويمها الذي سيقود للكسر، ثم حمل هذا الكسر على الطلاق<sup>(6)</sup>، فبناءً على ما سبق فالحديث الشريف لا يتحدث عن خلق مادي، بقدر كونه يتحدث عن خلق وطبع في النساء، لذا قد يكون حمله على التمثيل أقرب، والله أعلم.

لكن هذا إن كان ينطبق على الحديث، فلا ينطبق على الآية التي تحتل الرأيين كما قال ابن عطية، وبيان ذلك من عدة نواحي؛ ابتداءً بالنفس التي تحتل أن تكون دالة على آدم عليه السلام وعلى الإنسانية، وقد يكون في تنكيرها مسوغ لكلا المعنيين؛ فالقائلون إنه آدم عليه السلام لهم أن يقولوا إن النفس نُكِّرت تعظيماً<sup>(7)</sup>، بينما الفريق الثاني فقد يحمل التنكير على معنى التعميم<sup>(8)</sup>، كما أن الوصف (بالواحدة) يُحمل في كلا المعنيين على التأكيد<sup>(9)</sup>، ففيه معنى التأكيد على وحدة نشأة البشرية سواء من أب واحد أم إنسانية واحدة.

وأما الناحية الأخرى فهي تكرار فعل الخلق؛ فمن قال هي خلقت من آدم عليه السلام قالوا إن تكرار الفعل كان لبيان التفاوت بين الخلقين؛ إذ تميّزت حواء بكونها خلقت من ضلع آدم خلافاً لخلق ذريته، في المقابل فإن من قالوا إنها خلقت خلقاً مستقلاً لهم أن يستندوا إلى معنى (خلق) اللغوي قائلين؛ كما أن آدم عليه السلام كان الرجل الأول، كذلك حواء كانت المرأة الأولى التي لم يسبق وجودها امرأة، ومن هنا كان خلقها على غير مثال سابق.

إضافة لما سبق فإن المعاني المذكورة لـ(من) في ﴿وَحَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ سواء؛ التبعية<sup>(10)</sup>، أم البيانية<sup>(11)</sup>، وحتى من ذهب لحملها على الابتدائية وهو المعنى الأصيل والغالب لـ(من)<sup>(12)</sup>، فيحتمل مع هذه المعاني لحرف الجرّ والتي لا ينبو عنها السياق احتمال الآية للقولين سواء؛ القول بأنّها من ضلعه، أو من جنسه.

في ختام هذه الوقفات يمكن القول إن المركب في هذه الآية يحتمل المعنيين بل ويمكن الجمع بينهما بأن يقال؛ إن وحدة أصلنا وانتماءنا لسيدنا آدم عليه السلام، يقود لأن يطلق علينا بأننا أيضاً نستظل بظل إنسانية واحدة تجمعنا، وهذا ما حاول سيد قطب وأبو

(1) المباركفوري، منة المنعم في شرح صحيح مسلم، ج2/ص426

(2) المرجع السابق، ج2/ص428

(3) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3/ص368

(4) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1/ص349-350

(5) انظر: المرجع السابق، ج1/ص199

(6) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ص673: حديث (1468)

(7) انظر: الميداني، البلاغة العربية، ج1/ص404-405

(8) انظر: المرجع السابق، ج1/ص409

(9) انظر: المرجع السابق، ج1/ص463

(10) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، ج1/ص349

(11) انظر: المرجع السابق، ج1/ص349-350

(12) انظر: المرجع السابق، ج1/ص349

زهرة أن يفعله؛ إذ قال سيد قطب مُعلِّقاً على عبارات هذه الآية: "إنها توحي بأن هذه البشرية التي صدرت من إرادة واحدة، تتصل في رحم واحدة، وتلتقي في وشيجة واحدة، وتتبع من أصل واحد، وتتسبب إلى نسب واحد، ولو تذكر الناس هذه الحقيقة، لتضاءلت في حسم كل الفروق الطارئة، التي نشأت في حياتهم متأخرة، ففرقت بين أبناء "النفس" الواحدة، ومزقت وشائج الرحم الواحدة"، ثم في شأن خلق الزوجة يقول: "من النفس الأولى خلقها الله لتكون لها زوجاً، وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، فلا فارق في الأصل والقطرة، إنما الفارق في الاستعداد والوظيفة، ولقد خبطت البشرية في التيه طويلاً، فجدت المرأة من كل خصائص الإنسانية وحقوقها، ونسبت أنها إنسان خلقت لإنسان، ونفس خلقت لنفس، وشطر مكمل لشطر، وأنها ليسا فردين متماثلين، إنما هما زوجان متكاملان"<sup>(1)</sup>، ويعلق أبو زهرة بعد عرض أقوال الفريقين: "وقد كانت نتيجة ذلك الازدواج النفسي والجسدي، أن كان البشر، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1]"<sup>(2)</sup>، ويقصد بالازدواج النفسي أنها من ذات طبيعته، والازدواج الجسدي أنها من ضلعه.

وقد يؤكد المعاني السابقة النظر في الوحدة الموضوعية لهذه السورة المدنية التي تغردت بمدينتها بين جميع السور التي تحدثت عن خلق الأزواج، -سواء ما كان موطن الدراسة وما هو خارجها؛ كسورة النحل والروم والشورى-، وتغردت باستهلالها بهذا النداء العام، فهي سورة جاءت تقرر مبادئ العدل والأخوة والاحتكام لله تعالى في كل أمورنا، كما جاءت تبني علاقات المجتمع وفق شرع إلهي محي آثار الجاهلية الأولى التي عاش فيها زمنًا طويلاً وتمنحه صبغة ربانية عادلة، مذكراً بأن الجميع أمام هذا الشرع الإلهي سواسية لا فرق بينهم<sup>(3)</sup>، كما قيل بأنها جاءت ترفع الظلم عن فئات المستضعفين أو أنها سورة الإصلاح والإنصاف<sup>(4)</sup>، فالناظر في الوحدة الموضوعية للسورة يجد بأنها تتسجم مع المعنيين، ففي كليهما دعوة ضمنية لعدم التفاخر بالأنساب ما دام الأصل واحد، وبما أن الأصل واحد فلكل فئات المجتمع ذات الحقوق بلا تمييز بينهم ذكوراً وإناثاً، وقد تناسب مع هذا السياق وهذا الجو أن يكون الحديث الأول عن خلق الزوجة بالفعل (خلق) لتقرير حقها الكامل فيما شرّعه الله تعالى من حقوق، كما قرّر كمال خلقها من خلال هذا الفعل، والله أعلم.

### المطلب الثاني: دلالة الفعل (جعل) في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ والمراد بالنفس الواحدة.

قاربت آيتا الأعراف والزمر آية النساء في الحديث عن النفس الواحدة وخلق الزوج منها، لكن الاختلاف أن هاتين الآيتين جاءتا بفعل (جعل) مقروناً في إحداهما بحرف (الواو)، وفي الثانية ب(ثم)، وعليه سيقف الباحثان في هذا المطلب مع كل آية منهما في نظرة لأقوال المفسرين في معنى (جعل الزوج) من النفس الواحدة في سياق هاتين الآيتين، مع التعرّيج على معنى النفس عندهم.

أولاً: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189]

تباينت آراء المفسرين حول هذه الآية كما تباينت في سورة النساء، ولكن ارتبط هذا التباين بالآيات التي تليها وظهور شبهة إسناد الشرك بالله تعالى لآدم وحواء، فاختلف تفسير المقصود بـ(النفس، وجعل منها) عند بعض المفسرين لنفي هذه الشبهة، وتبعاً لتداخل آراء المفسر الواحد في هذه القضايا، سيعرض الباحثان لكل واحدٍ منهم على حدة.

(1) قطب، في ظلال القرآن، ج 2/ص 235-236

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 3/ص 1576

(3) انظر: قطب، الظلال، ج 2/ص 204-231

(4) انظر: خليفة، التفسير التحليلي لسورة النساء، ج 1/ص 22-32

فلو وقفنا مع شيخ المفسرين الطبري نجد أنه يرجح أن النفس الواحدة في الآية هي آدم عليه السلام استشهداً بآية النساء، ناسباً القول لمجاهد وقتادة، ومقررًا أن الجعل هنا بمعنى؛ أنها خلقت من ضلع من ضلع آدم عليه السلام ليأوي إليها قضاءً لحاجته<sup>(1)</sup>، وتابعه في هذا السمرقندي<sup>(2)</sup>.

أما الماتريدي فرغم قوله إن النفس هي آدم عليه السلام إلا أنه بنى التأويل على معنى آخر فقال: "خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وجعل منها زوجها حواء، أي: خلق الذكور كلهم من آدم، وخلق الإناث كلهن من حواء؛ كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: 21]"، وحمل الدعاء في قوله ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَلَاحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على أنه؛ "دعاء آدم وحواء لكل زوج وزوجة من ذريتهما إذ جميع الأولاد أولادهما"<sup>(3)</sup>، فحاول الماتريدي بهذا التأويل الخروج من إسناد الشرك الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 190] إلى آدم وحواء، ثم نقل قولاً آخر عن الحسن مفاده: "أن الآية في مشركي العرب إلا قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فإنها في آدم وحواء"<sup>(4)</sup>، ثم أتبعه بقول آخر لأبي بكر الأصم مفاده: "قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: خلق كل نفس منكم من تلك النفس، وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك النفس ليسكن إليها؛ فعلى هذا التأويل يُصرف آخر الآية إلى غير آدم وحواء"<sup>(5)</sup>، فالجعل في الأقوال التي أوردها الماتريدي تُحمل على معنى أن الزوجة هي من ذات الجنس، لا أنها مخلوقة من الضلع، ونقل الثعلبي وجهاً آخرًا في حمل (النفس) على أنها آدم عليه السلام عن الحسين بن الفضل إذ قال: "إن الله تعالى جمع آدم في الخطاب حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، ثم قال: ﴿فَلَمَّا تَعَشَّهَا﴾ فانصرف من ذلك الخطاب إلى الخبر، يعني فلما تغشى الرجل منكم امرأته"<sup>(6)</sup>، فهو بهذا يوجه الدعاء وما حدث بعد الغشيان لغير آدم وحواء، وبهذا يكون قوله قريبًا من قول الأصم لكنه لم يصرح بكيفية الجعل، في مقابل هذا اكتفى السمعاني والبغوي بالإشارة إلى أن النفس آدم عليه السلام<sup>(7)</sup>، دون حديث منهما عن معنى (جعل منها).

بينما ذهب الزمخشري إلى أن النفس هي آدم عليه السلام، وحمل الجعل في حق حواء على معنيين فقال: "جعلها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه، أو من جنسه كقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾"، ثم علل كلا المعنيين في تحقيق معنى السكن فقال: "ليطمئن إليها ويميل ولا ينفّر، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه أنس، وإذا كانت بعضًا منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه"، وزاد تدليلاً على أن المراد بالنفس آدم عليه السلام في معرض الحديث عن علة تكثير ليسكن فقال: "دكر بعد ما أنت في قوله: ﴿وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ذهاباً إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم، ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها، فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى"<sup>(8)</sup>، ثم أعقبه بذكر وجه آخر لتفسير النفس فقال: "ووجه آخر أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، وهم آل قصي، ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاها ولدًا سويًا جعلاً لله شركاء وسميا أولادهما بأسماء الأصنام"، ثم علّق؛

(1) انظر: الطبري، جامع البيان، ج10/ص617-618

(2) انظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج1/ص588

(3) الماتريدي، تفسير الماتريدي، ج5/ص112-113

(4) المرجع السابق، ج5/ص114

(5) المرجع السابق، ج5/ص114

(6) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج4/ص316

(7) انظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج2/ص238

- وانظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج2/ص257

(8) الزمخشري، الكشاف، ص399

"وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه"<sup>(1)</sup>، فذكر في الآية وجهين فمرة فسّر النفس بأنها آدم عليه السلام؛ وعليه حمل قوله: ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ على معنى أنها من ضلعه أو على معنى أنها من جنسه، ومرة فسّر النفس بأنها تدل على (قوم قصي)، وحينها فسّر قوله: ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ على معنى؛ أنها من جنسه، وتابعه البيضاوي بالوجه الأول.<sup>(2)</sup>

في مقابل هذا صرح ابن عطية بكون النفس آدم عليه السلام وأنّ الجعل؛ خلق حواء من ضلعه، معلقاً أنّ هذا كان في الجنة، ثم ابتدأ الكلام في الآية بحالة أخرى هي في الدنيا بعد هبوطهما بدليل قوله: ﴿فَلَمَّا تَعَشَّيْنَاهَا﴾<sup>(3)</sup>، ثم نقل وجهين آخرين في تأويل الآية؛ أولهما: "أنّ في الآية تعدد للنعم؛ كنعمة الأزواج وتسهيل النسل والولادة، وفيها بيان لحال الكافرين في التعامل مع هذه النعم، مما يجعل الحجة قائمة عليهم، والعقاب واجب عليهم"، ثانيهما: "أنّ المعنى خلقكم من جنس واحد وجعل الإناث منه، ثم جاء قوله: ﴿فَلَمَّا تَعَشَّيْنَاهَا﴾ إلى آخر الآية، وصفاً لحال الناس واحداً واحداً"<sup>(4)</sup>، ففي القولين الأخيرين خروج عن أن تكون النفس هي آدم عليه السلام، وحمل ل(جعل منها) على معنى الجنس أو النوع الواحد.

أما الرازي فكعادته جاء على المسألة من أركانها جميعاً؛ مبتدئاً كلامه برّد من وجوه خمس على جميع القصص التي ذكرت في حقّ آدم وحواء<sup>(5)</sup>، وأعقبه بفرض التسليم بأنّ القصة متعلقة بهما فغاية ما يُستفاد من هذا أنّ النفس هي آدم وحواء مخلوقة منه، ولم يقف عند هذا بل أعقب هذه الفرضية بعدد من الوجوه في الردّ على شبهة الإشراك في حقهما<sup>(6)</sup> -وليس هنا موطن التفصيل فيها-، لكن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الفريضة هي الوجه الثالث من التأويلات التي ذكرها في الآية، وأما التأويل الثاني فكان ما ذكره الزمخشريّ بأنها تتحدث عن آل قصي<sup>(7)</sup>، بينما التأويل الذي مال إليه معلقاً بأنّه جواب في غاية الصحة والساد، فكان نقلاً عن القفال وملخصه: "أنه تعالى ذكر هذه القصة على ضرب المثل فهي صورة لحالة المشركين في جهلهم وقولهم بالشرك، وتقرير هذا الكلام كأنّه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية، فلما تعشى الزوج زوجته وظهر الحمل، دعا الزوج والزوجة ربهما أن يرزقهما الله ولداً صالحاً ليشكراه، ثمّ لما آتاهما سؤالهما جعل له شركاء فيما آتاهما؛ بنسبة الولد تارة للطبائع ما يقول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما يقول المنجمون"<sup>(8)</sup>، ويكون هذا القول قريباً مما نقله ابن عطية سابقاً في أنّ في الآية حديث عن سوء فعل المشركين.

وعاد الرازي بعد معالجة هذه المسألة للتحقيق في معنى النفس والتي سلّم بحملها على أنها آدم عليه السلام، ولكنّه استشكل القول بأنّ حواء خلقت من ضلعه، وذهب لعدم وجود مانع من كونها قد خلقت ابتداءً كما خلق آدم عليه السلام، فالقادر على خلق إنسان من عظم واحد على قولهم قادرٌ على خلقه ابتداءً، واعترض على من يستدل على هذا الأمر بادعاء أنّ أضلاع الجانب الأيسر أقل؛ فرآه ممن يعوزهم العلم بالنتشريح، وتوقف مع معنى (من) في ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ليدلل على رأيه في نفي خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام فقال: الإشارة إلى الشيء تارة تكون بحسب شخصه، وأخرى بحسب نوعه، والمراد خلق من النوع الإنساني زوجة آدم،

(1) انظر: المرجع السابق، ص400، تجدر الإشارة إلى أنّ ابن المنير في الحاشية قال معلقاً: "التفسير الأسلم من هذين الوجهين: أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى، لا يقصد فيه إلى معين، ويكون المعنى خلقكم جنساً واحداً، وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهن".

(2) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3/ص45

(3) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2/ص486

(4) المرجع السابق، ج2/ص486-487

(5) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج15/ص427

(6) انظر: المرجع السابق، ج15/ص428-429

(7) انظر: المرجع السابق، ج15/ص428

(8) الرازي، مفاتيح الغيب، ج15/ص428

والمقصود التنبية على أنه تعالى جعل زوج آدم إنساناً<sup>(1)</sup>، وبهذا يتم الرازي القول بأن المقصود بالجعل هنا؛ بأنه صير حواء من ذات جنس آدم عليه السلام وعليه تكون (من) عنده بيانية.

بينما ذكر **القرطبي** قول جمهور المفسرين؛ فالنفس آدم عليه السلام وحواء جُعِلت من نفسه ليسكن إليها، ورفض القصص التي حول الآية مرجحاً أن تكون من الإسرائيليات، ثم عَقِبَ بذكر توجيهات مما ذكره المفسرون سابقاً مُحَسِّنًا لبعضها على حساب بعض، ثم قال: "وقيل: المعنى؛ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من هيئة واحدة وشكل واحد، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جنسها، ﴿فَلَمَّا تَعَشَّهَا﴾ يعني الجنسين الذكر والأنثى، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية"<sup>(2)</sup>، فهو بهذا يحمل النفس على معنى (وحدة الجنس أو الإنسانية الواحدة)، ومعنى الجعل أن الزوجة (من ذات الجنس)، في مقابل هذا اكتفى أبو حيان بنقل عدد من الأقوال السابقة، نافياً لكل الحوارات بين إبليس وآدم وحواء، ومُحِيلاً في البداية إلى التفصيل في خلق آدم وحواء على ما كان في سورة النساء<sup>(3)</sup>، وقد يكون في هذا إشارة إلى حمل المعنى في هذه الآية على ما ذكره في سورة النساء؛ وقد رجَّح في ذلك الموطن أن النفس آدم عليه السلام، وأن الله تعالى ابتداءً خلق حواء من آدم عليه السلام فهو أصلها وأنشئت منه<sup>(4)</sup>.

ولم يكن الحافظ ابن كثير ليُغفل في تفسيره الوقوف عند الروايات حول هذه الآية وتحقيق ما فيها والحكم عليها، فبدأ في تفسير الآية قائلاً: "ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام، وخلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منهما"<sup>(5)</sup>، ثم عرض المرويات المرفوعة والآثار، ليحكم بأنها معلولة واهية الإسناد، وأن الآثار تظهر بأنها من آثار أهل الكتاب<sup>(6)</sup>.

بينما تجد أبو السعود قد وقف عند دقائق الآية يفصل القول فيها، فذهب إلى حمل النفس على أنها آدم عليه السلام، أما ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ فتحتمل الرأيين ولكن ذهب إلى أن الأنسب أن تُحمل على معنى أنها من جنسه وعلل هذا بقوله: "إذ الجنسية هي المؤدية إلى الغاية الآتية لا الجزئية"، ثم بين معنى الجعل قائلاً: "والجعلُ إما بمعنى التصييرِ فقوله تعالى: ﴿زَوْجَهَا﴾ مفعوله الأول والثاني هو الظرف المقدم، وإما بمعنى الإنشاءِ والظرف متعلقٌ بجعل، فُدم على المفعول الصريح اعتناءً بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من المفعول"، ورجَّح القول الأول، ثم قال: "وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كُنَّ إِلَيْهَا﴾ علةٌ غائيةٌ للجعل؛ أي ليستأنسَ بها ويطمئن إليها اطمئناناً مصححاً للزواج كما يلوح به تذكير الضمير، ويُفصح عنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَعَشَّهَا﴾"<sup>(7)</sup>، فرجَّح معنى أنها من جنسه بناءً على أن هذا علةٌ تحقق السكنى، وقد وافق الألويسي أبو السعود بهذه التفصيلات إلا أنه في معنى (من) قال بأنها: "على المشهور تبعيضية أي؛ من جسدها لما يروى أنه سبحانه خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام اليسرى، والكيفية مجهولة لنا ولا يعجز الله تعالى شيء"<sup>(8)</sup>، فهو على عكس أبو السعود رجَّح أنها مخلوقة من ضلعه.

وأما محمد رشيد فقال في تفسير الآية: "خلقكم من جنس واحد أو حقيقة واحدة، صورها بشرًا سويًا، وجعل منها زوجها ليسكن إليها سكونًا زوجيًا، أي: جعل لها زوجًا من جنسها فكانا زوجين ذكرًا وأنثى"<sup>(9)</sup>، معلناً رفضه أن تكون حواء خلقت من ضلع آدم لأنها أقوال أهل الكتاب التي أمرنا النبي ﷺ ألا نصدقها ولا نكذبها فيما لا نصّ عندنا فيه لاحتماله، وأما الحديث في الصحيحين فمال إلى قول بعض الشراح؛ أنه يدل على أن في المرأة اعوجاج وشذوذ تخالف به الرجل، ثم قال: "إن التتزيل في هذه الآية عبر عن ميل

(1) انظر: المرجع السابق، ج 15/ص 429

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7/ص 337-339

(3) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج 5/ص 244-247

(4) انظر: المرجع السابق، ج 3/ص 494

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3/ص 263

(6) انظر: المرجع السابق، ج 3/ص 264-265

(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 3/ص 303

(8) الألويسي، روح المعاني، ج 5/ص 129

(9) رضا، تفسير المنار، ج 9/ص 431

الزوج الجنسي إلى جنسه هنا وفي سورة الروم بالسكون، وذلك لأن المرء إذا بلغ سن الحياة الزوجية يجد في نفسه اضطراباً خاصاً، لا يسكن إلا إذا اقترن بزوج من جنسه واتحداً، ولذلك قال بعده: فلما تغشاها<sup>(1)</sup>، وتابعه المراغي فيما قاله<sup>(2)</sup>، واكتفى سيد قطب بأن يعبر عن وحدة الجنس الذي تدل عليه الآية بقوله: "هي نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى، وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجه ويستريح إليها"<sup>(3)</sup>، أما أبو زهرة فرأى أن النفس وجعل منها تحتل المعاني التي ذكرت حولهما قائلاً: "المؤدى في التخرجين واحد، وهو التجانس التام بين النفسين، النفس التي انبعثت منها زوجها والزوج المنبعث"<sup>(4)</sup>. فالناظر فيما عرض سابقاً من الأقوال يجد أنها تتلخص في ثلاثة أقوال رئيسة كالاتي:

- 1- من رأى أن الآية تتعلق بآدم وحواء؛ وقد انقسموا قسمين في شأن ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فقسم ذهب إلى أنها من ضلعه، وقسم ذهب إلى أن المقصود أنها من جنسه، وخرّج بقية الآية على أنها لا تتعلق بهما دفعاً لشبهة الشرك عنهما.
- 2- من رأى أن الآية تتعلق بمشركي قريش؛ وهؤلاء حملوا النفس على أنها آل قصي، وأن معنى ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؛ أي من ذات القبيلة عربية قرشية.

- 3- من رأى أن القصة من باب ضرب المثل؛ والمعنى أنه خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، وجعل من جنسها إنساناً مساوياً له في الإنسانية، مخالفاً في الجنس ليسكن الزوج إلى زوجته ويستريح إليها.

وعند النظر في الأقوال السابقة حول هذه الآية التي جاءت في ختام سورة الأعراف المكية، هذه السورة التي عرضت الصراع بين الإيمان والكفر باستعراض قصص الأنبياء بدءاً من قصة آدم عليه السلام وإغواء إبليس له، وانتهاءً بقصة سيدنا محمد ﷺ، عرضاً تفاعلياً يمس القلب والروح لتثبيت العقيدة والاعتبار بالأمم السابقة، وقد جاءت هذه الآية في ختام هذه السورة كحلقة أخيرة من حلقات الصراع بين الإيمان والكفر، فبدأت بمنة الله على هذا الخلق بإنشائهم من طبيعة واحدة لا تفاضل بينهم، وتبعته منته عليهم بأن صير من ذات الجنس للذكر أنثى يأنس ويسكن إليها، بهذه النظرة للجو العام للسورة وسياق الآية؛ يميل إلى حمل الفعل (جعل) على معنى تصييرهم من حال عدم معرفة كل جنسٍ منهما للآخر، إلى حال الزوجية التي جمعتهم ليأنس أحدهما بالآخر، ويساعد أحدهما الآخر على تحقيق معنى العبودية لله تعالى، وهذه النعم لا بد أن تقابل بالشكر وإخلاص العبادة لله تعالى على عكس ما يكون من أهل الكفر والعصيان الذين يقابلون هذه النعم بكفرانها وعبادة غير الله تعالى، ولذا يترجّح لدى الباحثين حمل هذه الآية على العموم وعدم ارتباطها بآدم وحواء، ومجيء الفعل (جعل) معطوفاً بالواو ينسجم مع ما رجّحه الباحثان -والله أعلم- من عموم الآية وعدم ارتباطها بآدم وحواء، إذ الواو لمطلق العطف، والسياق هنا للحديث عن نعم الله تعالى على هذه البشرية؛ ابتداءً من كونهم تحت إنسانية واحدة لا اختلاف بينهم، والنعمة الأخرى وهي من الله تعالى عليهم بخلق الأزواج من ذات الجنس، فليست العناية في هذه الآية بالترتيب إذ إنّه مفهوم ضمناً، بل العناية بتعداد هذه النعم من الله تعالى عليهم، وبيان فضاة إشراك غير الله معه في العبادة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: 6].

تتقاطع هذه الآية مع آية الأعراف في مجيء الفعل (جعل) في سياق الحديث عن خلق الزوج من نفس واحدة، لكنهما تفرقان في حرف العطف المقترن مع الفعل، وقد شكّل اقتران (ثم) بالفعل إشكالاً لكونه يدلّ على الترتيب، ومن المعلوم أنّ خلق حواء سبق خلق الذرية، وقد كان للمفسرين عدد من الآراء لدفع هذا الإشكال، ارتبط بعضها في حمل (جعل منها) على معاني مختلفة، وتبعاً للتداخل في قول المفسر الواحد سيقف الباحثان مع كل مفسر على حدة.

(1) المرجع السابق، ج9/ص431-432

(2) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج9/ص138-149

(3) قطب، الظلال، ج3/ص700

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج6/ص3028-3029

ومبتدأ البحث من شيخ المفسرين **الطبري** الذي صرح في كون النفس تدل على آدم عليه السلام، وأن حواء خلقت من ضلع من أضلعه، وتوقف مع الإشكالية حول (ثم) ذاكراً لثلاثة أقوال في المسألة؛ **«أولها: أن الله أخرج ذرية آدم من ضلعه قبل أن يخلق حواء، وهذا بدلالة ما روي عن رسول الله ﷺ: «إن الله لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، ثم أسكنه بعد ذلك الجنة، وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلعه»<sup>(1)</sup>، ثانيها: أن العرب قد تخبر عن الرجل بفعلين فيرد الأول منهما في المعنى مقترناً ب(ثم) إذا كان من خبر المتكلم كقول أحدهم: «قد بلغني ما كان منك اليوم، ثم ما كان منك أمس أعجب»، أما ثالثها: أن يكون خلقه للزوج مردوداً على (واحدة)، ويكون تقدير الكلام: «خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها» فيكون في (واحدة) معنى: خلقها وحدها، ثم رجح الأول لورود الخبر فيه، وذكر بأن الرايين الأخيرين هما على مذاهب أهل العربية<sup>(2)</sup>، بينما خرجه **الماتريدي** على ظاهره: «لأن الخلق كما يقول: هو التقدير في اللغة، كأنه قال قدركم جميعاً على كثرتمكم من أول ما أنشأكم إلى آخر ما ينشئكم من تلك النفس الواحدة، وقوله: **﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾** أي؛ ثم أخرجنا منها - من تلك النفس - زوجها، ثم كان منه خلق ما ذكر<sup>(3)</sup>، واكتفى **الماوردي** بأن يشير إلى أن النفس آدم عليه السلام، وأن معنى **﴿جَعَلَ مِنْهَا﴾** أي خلق حواء إما من ضلع الخلف وهو أسفل الأضلاع، أو أنه خلقها مثل ما خلق آدم عليه السلام<sup>(4)</sup>، ورجح **السمعاني** أن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام<sup>(5)</sup>. ولم يفت شيخ **البيان الزمخشري** أن يقف عند هذه المسألة فقال: «فإن قلت: ما وجه قوله **﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾** وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عدّها دالاً على وحدانيته وقدرته: تشيعب هذا الخلق الفأنت للحرص من نفس آدم، وخلق حواء من قصيراه، إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجربها العادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيري رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها ب(ثم) على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود<sup>(6)</sup>، وأتبعه بالوجهين الآخرين الذين ذكرهما **الطبري** وهما؛ تعلق (ثم) بواحدة، وإخراج الذرية من ظهر آدم<sup>(7)</sup>، ويظهر مما سبق أن **الزمخشري** يرجح الوجه الأول؛ فحواء مخلوقة من ضلع آدم عليه السلام، و(ثم) محمولة على معنى التراخي الرتبي دالة على تميّز خلقها عن بقية الذرية عاطفة ل(جعل) على (خلقكم).**

وقد ذهب **ابن عطية** إلى أن النفس في هذه الآية تحتمل أن يكون المراد بها؛ آدم عليه السلام، أو أن يكون اسم الجنس، أما ما يتعلق ب(ثم)، فنقل بعضاً من الأخبار السابقة وزاد عليها قائلاً: **«خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** عبارة عن سبق ذلك في علم الله تعالى، فلما كان ذلك أمراً حتمياً واقعاً ولا بد، حسن أن يخبر عن تلك الحال التي كانت وثيقة، ثم عطف عليها حالة جعل الزوجة منها، فجاءت معانٍ مترتبة وإن كان خروج خلق العالم من آدم إلى الوجود إنما يجيء بعد ذلك<sup>(8)</sup>، و**ابن عطية** هنا يعالج الإشكال حول (ثم) على معنى؛ أن الحديث في الآية بدأ عن قضية خلق الخلق التي لا جدال فيها ثم أعقبها بخلق حواء ترتيباً للمعاني، كذلك لم

(1) ذكره الإمام الألباني في سلسلة الضعفاء وقال منكر جداً وإسناده ضعيف جداً، انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج13/ص1137-1141: حديث(6499)، وذكر روايات أخرى بلفظ قريب، ومنها ما كان دون الزيادة المتعلقة بخلق حواء وحكم عليها معلقاً في الختام بأنه لم يثبت حديث يدل على خلق حواء من ضلع آدم.

(2) الطبري، جامع البيان، ج20/ص161-162

(3) الماتريدي، تفسير الماتريدي، ج8/ص659

(4) انظر: الماوردي، النكت والعيون، ج5/ص115

(5) انظر: السمعي، تفسير القرآن، ج4/ص458

(6) الزمخشري، الكشاف، 934

(7) انظر: المرجع السابق، 934

(8) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4/ص519-520

يخرج الرازي عن ذكر الوجوه السابقة في دفع هذا الإشكال دون تعليقٍ على معنى النفس أو معنى الجعل<sup>(1)</sup>، وتابعهم البيضاوي في عدد من الوجوه السابقة وزاد عليها توجيهًا آخر فقال: "ثمَّ) للعطف على محذوف هو صفة نفسٍ مثل خلقها"<sup>(2)</sup>.

أما أبو حيان فأتى على تفسير معنى النفس والجعل بوجهين فقال: "ذكر الله أنه أوجدنا من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام، وذلك أنّ حواء على ما روي خلقت من آدم، فقد صار خلقًا من نفس واحدة لوساطة حواء، وقيل: أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر، ثم خلق بعد ذلك حواء، فعلى هذا كان خلقًا من آدم بغير واسطة"، وفيما يتعلق بـ(ثمَّ) بناءً على هذه التفسيرات كان لها توجيهات مختلفة، فعلى المعنى الأول: "تكون لترتيب الأخبار كأنه قيل: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها، فليس الترتيب في زمان الجعل، وقيل: ثم معطوف على الصفة التي هي واحدة، أي من نفس وحدت، أي انفردت"<sup>(3)</sup>، أما على التفسير الثاني فنكون على وضعها للمهلة في الزمان، ثم نقل قول الزمخشري في المسألة<sup>(4)</sup>، ولم يزد السمين الحلبي على من سبقه<sup>(5)</sup>.

بينما كان للباقعي مع الآية وقتان؛ أولهما مع الفعل (جعل) فقال: "لما كان إيجادنا من النفس الواحدة بعد شق الأنثى منها، قال عاطفًا على ما تقديره: أوجدها من تراب، مبيّنًا بلفظ الجعل أن الذكر هو سببها ومادتها"، ثم قال: "وعبر بالجعل ليبين أنه ما خلق آدم عليه السلام إلا ليكون سببًا لما يحدث عنه من الذرية، ليرتبط على ذلك إظهار ما له سبحانه من صفات الكمال"، أما الوقفة الثانية فكانت مع (ثمَّ) فقال: "تبه بأداة التراخي على القهر الذي السياق له، بالتراخي في الزمان بتأخير المسبب عن سببه إلى حين مشيئته، لأن إيجادها منه كان بعد مدة من إيجادها، والأصل في الأسباب ترتب المسببات عليها من غير مهلة"<sup>(6)</sup>، ثم جاء بمعنى آخر ورأى بأنه الأحسن فقال: "جاء السياق لإحاطة العلم المدلول عليه بإنزال الكتاب وما تبعه؛ قدر خلقكم على ما أنتم عليه من العدد والألوان حين خلق آدم وهياًه لأن تفيضوا منه، فلا تزيدون على ما قدره شيئاً ولا تنقصون، وقدّر أن تفيض منه زوجه قبل خلقها، ثم أوجدها فكان الفيض منها، فيضاً منه فالكل منه"<sup>(7)</sup>، فالباقعي حاول أن يفسر مجيء (ثمَّ) في الآية بناءً على ما يراه في السياق؛ فمرة حمل مجيئها هنا للدلالة على القهر الذي سيق له الكلام بدلالة مخالفة الأصل في ترتب المسببات على الأسباب دون مهلة زمنية، ومرة حمل مجيئها لما حواه السياق من الدلالة على علم الله الواسع المحيط بخلقه.

وقد كان لأبي السعود طريقته في الحديث عن القضية فبعد أن حدد أنّ النفس المقصودة آدم عليه السلام، نقل أقوال المفسرين السابقة حول (ثمَّ)، وأضاف تعليقاً فيما يتعلق بالفعل جعل فقال: "استخدامه دون فعل الخلق أدلّ على كون خلق حواء آية مستقلة وأجلب للتعجب"<sup>(8)</sup>، وهو بهذا يزيد على الرأي الذي فصله الزمخشري تفصيلاً، كذلك الشوكاني زاد عليهما تفصيلاً فقال: "التعبير بالجعل دون الخلق مع العطف بـ(ثمَّ)؛ للدلالة على أن خلق حواء من ضلع آدم أدخل في كونه آية باهرة دالة على كمال القدرة، فخلقها لم تجر عليه العادة بخلاف خلق آدم"<sup>(9)</sup>، فهنا الشوكاني قرر أنّ النفس آدم وأنّ حواء خلقت من ضلعه وهذا أعجب في خلقها، ولم يبتعد الألوسي عن ترجيح الشوكاني في المقصود بالنفس وخلق حواء، لكنّه كعادته في تنوq الآراء والترجيح بينها، توقف عند ما قيل حول (ثمَّ) فقال: "قيل: عطف على محذوف هو صفة ثانية لنفس أي من نفس واحدة خلقها ثم جعل منها زوجها، أو على (واحدة) لأنه في الأصل اسم مشتق فيجوز عطف الفعل عليه، ويعتبر ماضيًا لأن اسم الفاعل قد يكون للمضي إذا لم يعمل، ورُجِح

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج26/ص423-424

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5/ص37

(3) أبو حيان، البحر المحيط، ج9/ص185

(4) انظر: المرجع السابق، ج9/ص185

(5) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9/ص409-410

(6) الباقعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج16/ص455-456

(7) المرجع السابق، ج16/ص456

(8) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج7/ص243

(9) الشوكاني، فتح القدير، ج4/ص517

بسلامته من التقدير الذي هو خلاف الأصل"، فهو هنا فضّل العطف على (واحدة) على تقدير المحذوف، ثمّ أتمّ الاحتمالات بأن يكون العطف على: "خَلَقَكُمْ" لتفاوت ما بين خلقهما في الدلالة-أي خلق ذرية آدم وحواء-فخلق حواء من الضلع أعظم وأجلب للتعجب ولذا عبر بالجعل دون الخلق وتكون ثمّ للتراخي الرتبي<sup>(1)</sup>، ويبدو أنّه من الأقوال المقبولة عنده إذ لم ينقده أو يرفضه، في المقابل رفض القول بأنّ الله أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر وما ترتب عليها قائلاً: "وهذا لا يقبل إلا إذا صح مرفوعاً أو في حكمه"<sup>(2)</sup>، وهذه عادة الألوسي في تحقيق المسائل، وإنّ الباحثان يميلان إلى ما ذكره الألوسي من استبعاد هذا القول خاصّة مع كون حديث الدرّ منكرًا كما ذكر سابقًا في تخريجه<sup>(3)</sup>، ووافقه ابن عاشور في ترجيح القول الثاني لمناسبته مع سياق الزمر الذي جاء للاستدلال على الوحدانية وإبطال الشرك بمراتبه، ولأنّ في هذا دليلين على وحدانية الله وقدرته؛ أولهما خلق آدم وذريته، وثانيهما خلق زوجه من نفسه.<sup>(4)</sup>

في مقابل هذا اكتفى المراغي بأن يشير إلى أنّ البشرية على اختلافها وتنوعها هي من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام، ثمّ جعل من جنسها زوجها وهي حواء<sup>(5)</sup>، ولكنّه بهذا يخالف مدرسة المنار التي اتبعتها في الترجمات السابقة في معنى النفس، وقد عبّر سيد قطب عن وحدة الجنس التي يفسر بها النفس، ووحدة الجنس التي يعبر بها عن جعل الزوجة من تلك النفس قائلاً: "هي نفس واحدة، ذات طبيعة واحدة، وذات خصائص واحدة، فالنفس الإنسانية واحدة في جميع الملايين المنبثين في الأرض في جميع الأجيال وفي جميع البقاع، وزوجها كذلك منها، فالمرأة تلتقي مع الرجل في عموم الخصائص البشرية، مما يشي بوحدة التصميم الأساسي لهذا الكائن البشري، الذكر والأنثى، ووحدة الإرادة المبدعة لهذه النفس الواحدة بشقيها"<sup>(6)</sup>.

من خلال العرض السابق يظهر أنّ المفسرين في هذه الآية خاصّة كان جهدهم منصباً على حل إشكالية حرف العطف (ثمّ) حتى أن منهم من أغفل ذكر المقصود بالنفس وجعل الزوج منها، ومنهم من أجاب ضمناً عندما حاول حلّ إشكال ورود (ثمّ) في هذا السياق.

وقبل الوقوف مع القول في الآية وبما أنّ الخلاف طال حول (ثمّ) لا بدّ من الوقوف مع الكتب المختصّة بدراسة الحروف حول حقيقة المعاني التي يحملها هذا الحرف، فإنّ مما ذكره الرضى في شرحه على الكافية؛ "أنّ (ثمّ) تفيد الترتيب وتختص بالمهلة والتراخي ولا تكون إلّا عاطفة، ومن خصوصياتها في الجمل، أن تأتي لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له"، ومثّل عليه قائلاً: "كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]، فالإشراك بخالق السموات والأرض مستبعد غير مناسب، وهذا المعنى فرع التراخي ومجازه"<sup>(7)</sup>، كما ذكر محمد عزيمة أنه يعبر عن المعنى الأخير أحياناً بتفاوت مرتبة ما بعدها عما قبلها، وقد أحصى مواطن مجيئها في القرآن على هذا المعنى فبلغت أربعاً وثلاثين موضعاً كان من بينها هذه الآية<sup>(8)</sup>، وهذا المعنى هو الذي ذكره الزمخشري ابتداءً عند حديثه عن الآية، وذكره الألوسي، ورجّحه ابن عاشور. وكان من بين كتب الحروف التي تناولت هذه الآية مغني اللبيب عندما تحدّث عن الخلاف حول إفادة (ثمّ) الترتيب، فذكر خمسة أوجه في الردّ على الرافضين لإفادة (ثمّ) معنى الترتيب في هذه الآية وغيرها؛ "أولها: أنّ العطف على محذوف؛ أي من نفس واحدة أنشأها ثم جعل منها زوجها، ثانيها: أن العطف على (واحدة) على تأويلها بالفعل؛ أي من نفس توحدت أي انفردت ثم جعل منها

(1) الألوسي، روح المعاني، ج12/ص230

(2) انظر: المرجع السابق، ج12/ص230-231

(3) انظر: ص21 من البحث.

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23/ص331

(5) انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج23/ص146

(6) قطب، الظلال، ج7/ص124

(7) الاسترأبدي، شرح الرضي لكافية الحاجب، (القسم الثاني-المجلد الأول/ص1315-1316)

(8) انظر: عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج2/ص102-108

زوجها، ثالثها: أن الذرية أخرجت من ظهر آدم كالذر ثم خلقت حواء من قصيره، رابعها: أن خلق حواء من آدم مما لم تجر العادة بمثله فجاء بها إيداناً بترتبه وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة لا لترتيب الزمان وتراخيه، خامسها: أن (ثم) جاءت هنا لترتيب الإخبار لا ترتيب الحكم<sup>(1)</sup>، والوجه الرابع هو الذي أشار له الرضي في شرح الكافية.

وفي عودة لهذه الآية فإن نظرة في جو هذه السورة المكية التي تدور حول توثيق مفهوم العقيدة من خلال عرض مظاهر قدرة الله تعالى المختلفة في هذا الكون، ومن خلال الحض على الإخلاص والصدق وتخليص النفس لله تعالى، وحضور ظلال الآخرة ومشاهدها في كل مقطع من السورة، حتى أنه لا ينطوي مقطع أو صفحة منها إلا وتمر على مشهد أو أكثر من هذه المشاهد<sup>(2)</sup>، وكان ختامها بمشهد (الزمر) في ذلك اليوم، بعد أن كانت بدايتها في الأمر بإخلاص العبادة لله تعالى، فكأنها بدأت بالأمر بإخلاص العبادة وختمت بالنتيجة، وما بين البدء والمختتم كان الحديث عن معينات على الإخلاص بالاستدلالات العقلية على قدرة الله تعالى والحض على توحيد، والاستدلالات الغيبية بالحديث عن مشاهد يوم القيامة.

في ظل هذه المعاني ومجيء هذه الآية في مبتدأ السورة، في مقطع يتحدث عن دلائل وحدانية الله وقدرته في الكون المشهود، فإن هذا يجعل الباحثان يميلان إلى القول: بأن التركيز في الآية كان على قضيتين؛ على خلق هذه البشرية بأكملها من نفس واحدة، وعلى خلق الأزواج سواء حُمل خلقها على معنى أنها من ضلعه أم من جنسه؛ فخرج هذه الكثرة البشرية على اختلاف ما بينها من لون ولغة وغيرها من نفس واحدة لهو أكبر دليل على قدرة الله تعالى، ومن كان بهذه القدرة هو الأولى بالعبادة ولا يوجد من يستحق العبادة سواه، ثم كونه تعالى قد منّ على البشرية بأن صير للذكر من ذات جنسه أنثى تأنس بها الروح فهذا دليل إنعام من الله تعالى على البشرية يستحق لأجلها إفراده بالوحدانية، وعليه فيترجح عند الباحثين أن النفس في هذه الآية هي آدم عليه السلام.

أما (ثم) فقد عطف ما يتصل بها على (خلقكم)؛ لتحتل الحديث عن آيتين من آيات قدرة الله تعالى على أنه المستحق للعبادة والوحدانية، فيكون الأخرى؛ فليس المراد هنا مجرد العطف بينهما بل المراد إظهار دلائل قدرة الله تعالى على أنه المستحق للعبادة والوحدانية، فيكون في الآية دليلان على قدرة الله تعالى واستحقاقه للوحدانية المطلقة؛ أولهما: خلق هذه البشرية بما فيها من اختلافات من نفس ورحم واحد، وثانيهما: تصيير الله تعالى للذكر أنثى من جنسه، وقد يؤيد هذا المعنى السياق اللاحق؛ إذ أعقب ذكر خاصية الزوجية في البشر، بذكر نظام الزوجية في الأنعام، ثم تبعتها آيات تعرض كيفية خلق الإنسان عرضاً موجزاً ليكون من شأن هذا كما يقول سيد قطب: "أن يقود القلب البشري إلى رؤية يد الخالق المبدع، رؤيتها بآثارها الحية الواضحة الشاخصة والإيمان بالوحدانية الظاهرة الأثر في طريقة الخلق والنشأة"<sup>(3)</sup>.

### الخاتمة

أما وقد وصلنا إلى ختام هذا البحث الذي حاول فيه الباحثان استقصاء أقوال المفسرين حول هذه الآيات الثلاث، والوقوف على مفصل الاختلاف والاتفاق فيما بينهم، وموازنة الآراء في ضوء دراسة دلالة الأفعال في كل منها وأدوات العطف فيها، فإن أبرز ما توصل إليه الباحثان ما يأتي:

- 1- تستخدم مفردة (خلق) في السياق الدال على ابتداء إيجاد شيء على غير مثال سابق أو بكيفية مخصوصة وفق الحكمة والإرادة، بينما تستخدم (جعل) في السياق الدال على تصيير الشيء من حالة إلى حالة أخرى بعد الخلق والتكوين.
- 2- انقسمت الأقوال في آية سورة النساء فيما يتعلق بالنفس الواحدة إلى قولين؛ الأول وهو الذي عليه أكثر المفسرين أنه آدم عليه السلام، وأما الثاني؛ فذهب إلى أن المقصود بها وحدة الجنس أو الإنسانية الواحدة وقاد هذه الفكرة رواد مدرسة المنار.

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ج 1/ص 136

(2) انظر: قطب، الظلال، ج 7/ص 116-119

(3) المرجع السابق، ج 7/ص 125

- 3- تباينت الأقوال حول حرف الجر (من) في ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؛ بين قائلٍ هي (تبعيضية) وبالتالي يذهبون إلى القول بأنَّ حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام، وبين قائلٍ هي (بيانية) وبالتالي يذهبون إلى أنَّ حواء مخلوقة من ذات جنس آدم عليه السلام أو من ذات ما خلق منه آدم عليه السلام؛ أي من تراب، وبين حاملٍ لها على معنى (الابتدائية) وهؤلاء كانوا على قسمين؛ قسم رأى أنَّها خلقت من ضلعه والمعنى ابتداء خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام، وبين قائلٍ خلقت من جنسه والمعنى ابتداء خلق حواء على هيئة تشبه هيئة آدم عليه السلام وجعلها من جنسه.
- 4- تساعد الروايات المتعددة وبعض عبارات الأحاديث حول خلق المرأة إلى ترجيح حمل الحديث على معنى التمثيل، كما أنَّ الربط بين الحديث والآية ما هو إلا محض اجتهادٍ من المفسرين، فليس ملزماً لرأيٍ دون آخر.
- 5- تحتل آية النساء المعنيين المذكورين فيها؛ بحمل النفس على آدم عليه السلام أو الإنسانية، كما يحتمل القول بخلق حواء من ضلعه أو من ذات جنسه، لأنَّ في كليهما دعوة ضمنية لعدم التفاخر بالأنساب ما دام الأصل واحد، بل ويمكن الجمع بينهما بأنَّ يقال؛ إنَّ وحدة أصلنا وانتماءنا لسيدنا آدم عليه السلام، يقود لأنَّ يطلق علينا بأننا أيضاً نستظل بظل إنسانية واحدة تجمعنا.
- 6- تناسب الفعل (خلق) الذي يعطي للزوجة قوة في الخلق توازي قوة خلق آدم وذريته، مع سياق سورة النساء التي جاءت تُعلن وتقرر مبادئ العدالة والاحتكام لله تعالى ورفع الظلم عن المستضعفين، ولتقرير حقها الكامل فيما شرعه الله تعالى من حقوق، كما قرّر لها كمال خلقها من خلال هذا الفعل.
- 7- ارتبط الاختلاف في آية الأعراف بشبهة إسناد الشرك لآدم وحواء في الآيات التي تليها، مما أدى لاختلاف المفسرين في تحديد المقصود بالنفس في هذه الآية؛ ففريق رأى أنَّ المقصود آدم وحواء عليهما السلام ونفى شبهة الشرك عنهما باعتبار آخر الآية وما يليها في ذريتهما، وفريق ذهب إلى أنَّ المقصود بالنفس قوم من قريش هم آل قصي جعل الله لهم من ذات القبيلة زوجاتٍ عربياتٍ فُرشيات، وفريق آخر ذهب إلى حمل الآية على ضرب المثل على معنى؛ خلق كل منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجاً إنساناً يساويها في الإنسانية.
- 8- تناسب الفعل (جعل) معطوفاً بـ(الواو) مع سياق سورة الأعراف؛ ذلك لأنَّ السياق يتحدث عن امتنان الله تعالى على البشرية بنعمه، مما يُرجح حمل الآية على عمومها؛ فالله تعالى امتنَّ على البشرية بأن جعلهم ينتمون لإنسانية واحدة تجمعهم، وامتنَّ عليهم بأن صيّر لكل ذكرٍ أنثى يأنس بها ويسكن إليها، وهذه المنن تجتمع لتقرير نفي الشرك عن الله تعالى وأحقّيته وحده بالعبادة.
- 9- انصب اهتمام المفسرين في آية الزمر على حلِّ الإشكالية حول (ثمَّ)؛ ذلك لأنَّ فيها معنى الترتيب وظاهر الآية يقتضي أن تكون حواء خلقت بعد ذرية آدم، وقد كان للمفسرين وجوه في دفع هذه الشبهة منها أنهم؛ قدروا عطفها على محذوفٍ والنقد؛ (من نفسٍ واحدةٍ أنثى لها ثمَّ جعل منها زوجاً)، أو قالوا معطوفة على (واحدةٍ) بتأولها على الفعل بتقدير؛ (من نفسٍ توحدت أي انفردت ثمَّ جعل منها زوجاً)، وغيرها من الأجوبة.
- 10- تناسب الفعل (جعل) معطوفاً بـ(ثمَّ) مع سياق سورة الزمر؛ ذلك لأنَّ السياق يعتني بتعدد دلائل قدرة الله تعالى، مما يُرجح أنَّ المقصود بـ(النفس) آدم عليه السلام، وأنَّ (ثمَّ) تعطف جملتها على (خلقكم)؛ لتحتمل الحديث عن آيتين من آيات قدرة الله مع بيان تباين كل منهما عن الأخرى؛ أولهما: خلق هذه البشرية بما فيها من اختلافات من نفسٍ ورحمٍ واحد، وثانيهما: تصيير الله تعالى للذكر أنثى من جنسه، سواءً قلنا بخلقها من ضلعه أو من ذات جنسه.
- 11- جاءت آية سورة النساء في سياق تقرير قاعدة المساواة في الخلق بين الذكر والأنثى في سورة كان من مجمل ما جاءت به إقرار حقوق المرأة في وسط جاهلية كانت ترى فيها جزءاً من المال يورث ولا ينظر لإنسانيته لذلك تفرّدت بفعل (خلق) لبيان التساوي في الخلق بينها وبين الرجل، بخلاف سورتي الأعراف والزمر المكيتان اللتان كان بينهما اتفاق واختلاف؛

فاتفقتا في كون آية خلق الأزواج فيهما جاءت في معرض الحديث عن منة الله تعالى على هذه البشرية بتصيير الأزواج بعضهم لبعضهم لذلك ناسبهما الفعل (جعل)، ولكن الفارق بينهما أنّ الأعراف كان فيها حديث عن الصراع بين الإيمان والكفر فكان في السياق تقرير نعم الله على البشرية واستحقاقه للعبادة لذلك جاء العطف فيها بالواو فليست العناية بالترتيب وإنما بتقرير النعم، بينما في سورة الزمر كان فيها مزيج من الحديث عن التوحيد والإخلاص والصدق مع الله تعالى، وهذا يجعل السياق يحتاج أدلة أكثر حول الإله الذي يستحق العبادة فجاءت جعل مقرونة ب(ثم)، لتدل على تعدد نعم الله تعالى على البشرية.

**إن كان للبحث من توصيات فإن أبرز ما يوصي به:**

- 1- دراسة مواطن الحديث عن خلق الأزواج مما لم يدرسه البحث مع هذه الآيات، دراسة دلالية سياقية للوقوف على أسرار كل تركيب في موطن وروده.
- 2- دراسة مفردتي الخلق والجعل في مواطن ورودها في السياقات المتشابهة في القرآن الكريم، ودراسة دلالات كل منها في الموطن الذي تذكر فيه.
- 3- دراسة الألفاظ الدالة على خلق البشرية كلفظ: البث، والإنشاء، والخلق، والجعل، وغيرها، دراسة دلالية سياقية.

## المصادر والمراجع

## أولاً: المراجع العربية:

- 1- الأزهري، محمد، (2001م)، *تهذيب اللغة*، تحقيق: محمد مرعب، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 2- الاسترأبادي، محمد، (1996م)، *شرح الرضي لكافية الحاجب*، تحقيق: يحيى بشير، ط1، السعودية: الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- 3- الألباني، محمد، (1992م)، *سلسلة الأحاديث الضعيفة*، ط1، الرياض: دار المعارف.
- 4- الألوسي، شهاب الدين، (1415هـ)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: علي عطية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 5- الأنباري، محمد، (1981م)، *المنكر والمؤنث*، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، (د.ط.)، مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- 6- البخاري، محمد، (2002م)، *صحيح البخاري*، ط1، دمشق: دار ابن كثير.
- 7- البغوي، الحسين، (1420هـ)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 8- البقاعي، إبراهيم، (د.ت.)، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، (د.ط.)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- 9- البيضاوي، ناصر الدين، (1418هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق: محمد المرعشلي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 10- الترمذي، محمد، (1975م)، *سنن الترمذي*، تحقيق: إبراهيم عطوة، ط1، مصر: مطبعة مصطفى البابي.
- 11- الثعالبي، عبد الرحمن، (1418هـ)، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تحقيق: محمد معوض وآخر، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 12- الثعالبي، عبد الملك، (2002م)، *فقه اللغة وسر العربية*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، (د.م.): إحياء التراث العربي.
- 13- الثعلبي، أحمد، (2002م)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 14- جبل، محمد، (2010م)، *المعجم الاشتقاقي المؤصل*، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب.
- 15- ابن حجر، أحمد، (2000م)، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، ط3، دمشق: دار الفیحاء.
- 16- الحقي، إسماعيل، (1310هـ)، *الفروق*، (د.ط.)، (د.م.)، (د.ن.).
- 17- الحميري، نشوان، (1420هـ)، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تحقيق: حسين العمري وآخرون، ط1، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- 18- ابن حنبل، أحمد، (1995م)، *مسند الإمام أحمد*، تحقيق: أحمد شاکر، ط1، القاهرة: دار الحديث.
- 19- أبو حيان، محمد، (1420هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي جميل، (د.ط.)، بيروت: دار الفكر.
- 20- خليفة، إبراهيم، (1993م)، *التفسير التحليلي لسورة النساء*، ط1، مصر: مطبعة الفجر الجديد.
- 21- أبو داود، سليمان، (2009م)، *سنن أبي داود*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، (د.م.): دار الرسالة العالمية.
- 22- داوود، محمد، (2008م)، *معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم*، (د.ط.)، القاهرة: دار غريب.
- 23- ابن دريد، محمد، (1987م)، *جمهرة اللغة*، تحقيق: رمزي بعلبكي، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.
- 24- الرازي، محمد، (1420هـ)، *مفاتيح الغيب*، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 25- الراغب الأصفهاني، الحسين، (1412هـ)، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: صفوان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم.
- 26- رضا، محمد، (1367هـ)، *تفسير المنار*، ط3، مصر: دار المنار.
- 27- الزبيدي، محمد، (د.ت.)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، (د.ط.)، (د.ن.): دار الهداية.
- 28- الزحيلي، وهبة، (1418هـ)، *التفسير المنير*، ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر.
- 29- الزمخشري، جار الله، (1419هـ)، *أساس البلاغة*، تحقيق: محمد باسل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 30- الزمخشري، جار الله، (2009م)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، تحقيق: خليل شيحا، ط3، بيروت: دار المعرفة.
- 31- أبو زهرة، محمد، (د.ت.)، *زهرة التفاسير*، (د.ط.)، (د.م.): دار الفكر العربي.
- 32- أبو السعود، محمد، (د.ت.)، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، (د.ط.)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 33- السمرقندي، نصر، (1993م)، *بحر العلوم*، تحقيق: علي معوض وآخرون، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 34- السمعاني، منصور، (1997م)، *تفسير القرآن*، تحقيق: ياسر إبراهيم وآخر، ط1، الرياض: دار الوطن.
- 35- السمين الحلبي، شهاب الدين، (د.ت.)، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحقيق: أحمد الخراط، (د.ط.)، دمشق: دار القلم.
- 36- ابن سيده، علي، (1421هـ)، *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 37- الشوكاني، محمد، (1414هـ)، *فتح القدير*، ط1، دمشق: دار ابن كثير.

- 38- الطبري، محمد، (2001م)، *جامع البيان في تأويل آي القرآن*، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، (د.م): دار هجر.
- 39- ابن عاشور، محمد، (1984هـ)، *التحرير والتنوير*، (د.ط)، تونس: دار التونسية.
- 40- عباس، فضل، (2016م)، *لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم*، ط1، الأردن: دار النفاثس.
- 41- العسكري، الحسن، (د.ت)، *الفروق اللغوية*، تحقيق: محمد سليم، (د.ط)، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- 42- عضية، محمد (د.ت)، *دراسات لأسلوب القرآن الكريم*، تحقيق: محمود شاكر، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث.
- 43- ابن عطية، محمد، (1422هـ)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 44- العلامة المصطفوي، حسن، (1385هـ)، *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*، ط1، طهران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.
- 45- العيني، بدر الدين، (د.ت)، *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 46- ابن فارس، أحمد، (1399هـ)، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، (د.م): دار الفكر.
- 47- الفراهيدي، الخليل، (د.ت)، *العين*، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط)، (د.م): دار ومكتبة الهلال.
- 48- الفضل، عياض بن موسى، (د.ت)، *مشارك الأنوار على صحاح الآثار*، (د.ط)، (د.م): المكتبة العتيقة ودار التراث.
- 49- القاسمي، محمد، (1418هـ)، *محاسن التأويل*، تحقيق: محمد باسل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 50- القرطبي، محمد، (1964م)، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وآخر، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- 51- قطب، سيد، (1967م)، *في ظلال القرآن*، ط5، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 52- ابن كثير، إسماعيل، (1970م)، *تفسير القرآن العظيم*، ط2، بيروت: دار الفكر.
- 53- الكفوي، أيوب، (د.ت)، *الكليات*، تحقيق: عدنان درويش وآخر، (د.ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 54- لامنس، هنريكوس، (1889م)، *فرائد اللغة*، (د.ط)، بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين.
- 55- الماتريدي، محمد، (2005م)، *تفسير الماتريدي*، تحقيق: مجدي باسلوم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 56- الماوردي، علي، (د.ت)، *النكت والعيون*، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 57- المباركفوري، صفي الدين، (1999م)، *منة المنعم في شرح صحيح مسلم*، ط1، الرياض: دار السلام.
- 58- المراغي، أحمد، (1365هـ)، *تفسير المراغي*، ط1، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- 59- مسلم، أبو الحسين، (2006م)، *صحيح مسلم*، تحقيق: أبو قتيبة الفارابي، ط1، الرياض: دار طيبة.
- 60- المناوي، زين الدين محمد، (1410هـ)، *التوقيف على مهمات التعريف*، ط1، القاهرة: عالم الكتب.
- 61- ابن منظور، محمد، (1414هـ)، *لسان العرب*، ط3، بيروت: دار صادر.
- 62- الميداني، حبنكة، (2013م)، *البلاغة العربية*، ط4، دمشق: دار القلم.
- 63- النوي، محمد، (1392هـ)، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 64- ابن هشام، عبد الله، (2015م)، *مغني اللبيب عن كتب الأعراب*، تحقيق: محمد عبد الحميد، (د.ط)، لبنان: المكتبة العصرية.

### ثانياً: رومنة المراجع العربية:

- 1) Abbas, Fadl, (2016 AD), *Touches and Pleasures of the Expressive Miracles of the Noble Qur'an*, (in Arabic). 1<sup>st</sup> Edition, Jordan, Dar Al-Nafa'es.
- 2) Abu Al-Saud, Muhammad, *Guiding a sound mind to the merits of the Holy Book*, (in Arabic), Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 3) Abu Dawood, Suleiman, (2009 AD), *Sunan Abi Dawood*, (in Arabic), investigated by: Shuaib Al-Arnaout, 1<sup>st</sup> Edition, Dar Al-Resala Al-Alameya.
- 4) Abu Hayyan, Muhammad, (1420 AH), *Al- Bahr Al-Moheet in Interpretation*, (in Arabic), investigated by: Sidqi Jamil, Beirut, Dar Al-Fikr.
- 5) Abu Zahra, Muhammad, *Zahrat al-Tafsir*, (in Arabic), Dar al-Fikr al-Arabi.
- 6) Al- Aini, Badr Al-Din, *Umdat Al-Qari, Sharh Sahih Al-Bukhari*, (in Arabic), Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 7) Al- Albani, Muhammad, (1992 AD), *The Series of Weak Hadiths*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Riyadh, Dar Al-Maaref.
- 8) Al- Alusi, Shihab al-Din, (1415 AH), *The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions*, (in Arabic), investigated by: Ali Attia, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- 9) Al- Anbari, Muhammad, (1981 AD), *Masculine and feminine*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Abdul-Khaleq Udayma, Egypt, The Supreme Council for Islamic Affairs.

- 10) Al- Askari, Al-Hasan, *linguistic differences*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Salim, Cairo, House of Science and Culture for Publishing and Distribution.
- 11) Al- Baydawi, Nasir al-Din, (1418 AH), *Anwar al-Nazl and the Secrets of Interpretation*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Al-Mara'ashli, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 12) Al -Buqa'i, Ibrahim, *Nizam Al-Durar in the proportion of verses and surahs*, (in Arabic), Cairo, Dar Al-Kitab Al-Islami.
- 13) Al- Haqqi, Ismail, (1310 AH), *Al- Faraq*, (in Arabic).
- 14) Al- Kafwi, Ayoub, *Colleges*, (in Arabic), investigated by: Adnan Darwish and another, Beirut, Al-Resala Foundation.
- 15) Al- Maidani, Habanka, (2013 AD), *Arabic rhetoric*, (in Arabic), 4<sup>th</sup> Edition, Damascus, Dar Al-Qalam.
- 16) Al -Manawi, Zain Al-Din Muhammad, (1410 AH), *Detention on Introducing Tasks*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Cairo, World of Books.
- 17) Al- Maraghi, Ahmed, (1365 AH), *Tafsir Al-Maraghi*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Press.
- 18) Al- Maturidi, Muhammad, (2005 AD), *Interpretation of Al- Maturidi*, (in Arabic), investigated by: Majdi Basloom, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- 19) Al- Nawawi, Muhammad, (1392 AH), *Al- Minhaj Sharh Sahih Muslim bin Al-Hajjaj*, (in Arabic), 2<sup>nd</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 20) Al -Samarqandi, Nasr, (1993 AD), *Bahr Al-Uloom*, (in Arabic), investigated by: Ali Moawad and others, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmia.
- 21) Al- Shawkani, Muhammad, (1414 AH), *Fath al-Qadir*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Damascus, Dar Ibn Kathir.
- 22) Al- Thalabi, Abdel-Rahman, (1418 AH), *Al-Jawaher Al-Hassan in the Interpretation of the Qur'an*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Moawad and another, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Arab Heritage Revival House.
- 23) Al- Thalabi, Abdul Malik, (2002 AD), *Philology and the Secret of Arabic*, (in Arabic), investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, 1<sup>st</sup> Edition, Revival of the Arab Heritage.
- 24) Al- Thalabi, Ahmad, (2002 AD), *Disclosure and statement on the interpretation of the Qur'an*, (in Arabic), investigated by: Abu Muhammad bin Ashour, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 25) Al-Azhari, Muhammad, (2001AD), *Refining the Language*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Mereb, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 26) Al-Baghawi, Al-Hussain, (1420 AH), *Milestones of Downloading in the Interpretation of the Qur'an*, (in Arabic), investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 27) Al-Bukhari, Muhammad, (2002 AD), *Sahih Al-Bukhari*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Damascus, Dar Ibn Kathir.
- 28) Al-Fadl, Iyad bin Musa, *Mashariq al-Anwar on the Antiquities Sahih*, (in Arabic), the Antique Library and Heritage House.
- 29) Al-Farahidi, *Al-Khalil, Al-Ain*, (in Arabic), investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal Library and House.
- 30) Al-Humairi, Nashwan, (1420AH), *Shams Al-Uloom and the Medicine of Kalam Al-Arab from Al-Kalum*, (in Arabic), investigated by: Hussein Al-Omari and others, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar Al-Fikr Contemporary.
- 31) Al-Istrabadi, Muhammad, (1996 AD), *Al-Radhi's explanation of Kafiya Al-Hajib*, (in Arabic), investigated by: Yahya Bashir, 1<sup>st</sup> Edition, Saudi Arabia, the General Administration of Culture and Publishing, Imam Muhammad bin Saud Islamic University.
- 32) Allama al-Mustafawi, Hassan, (1385 AH), *Investigating the words of the Noble Qur'an*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Tehran, Center for the Publication of Allama al-Mustafawi's Effects.
- 33) Al-Mawardi, Ali, *Al- Nukkat and Al-Ayoun*, (in Arabic), investigated by: Al-Sayyid Ibn Abdul-Maqsood, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- 34) Al-Mubarakpuri, Safi Al-Din, (1999 AD), *Menna Al-Moneim in Sharh Sahih Muslim*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Riyadh, Dar Al-Salaam.
- 35) Al-Qasimi, Muhammad, (1418 AH), *The merits of interpretation*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Basil, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- 36) Al-Qurtubi, Muhammad, (1964 AD), *The Collector of the provisions of the Qur'an*, (in Arabic), investigated by: Ahmed Al-Baradouni and another, 2<sup>nd</sup> Edition, Cairo, Egyptian Book House.
- 37) Al-Ragheb Al-Isfahani, AL-Hussein, (1412 AH), *Vocabulary in the Gharib of the Qur'an*, investigated by: Safwan Al-Dawdi, 1<sup>st</sup> Edition, Damascus, Dar Al-Qalam, (in Arabic).
- 38) Al-Razi, Muhammad, (1420 AH), *Keys to the Unseen*, (in Arabic), 3<sup>rd</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 39) Al-Samani, Mansoor, (1997 AD), *Interpretation of the Qur'an*, (in Arabic), investigated by: Yasser Ibrahim and another, 1<sup>st</sup> Edition, Riyadh, Dar Al-Watan.
- 40) Al-Samin Al-Halabi, Shihab Al-Din, *Al- Durr Al-Masoon fi Al-Ulum Al-Kitab Al-Kunun*, (in Arabic), investigated by: Ahmad Al-Kharrat, Damascus, Dar Al-Qalam.

- 41) Al-Tabari, Muhammad, (2001 AD), *Jami` al-Bayan fi Interpretation of the Verses of the Qur'an*, (in Arabic), investigated by: Abdullah al-Turki, 1<sup>st</sup> Edition, Dar Hajar.
- 42) Al-Tirmidhi, Muhammad, (1975 AD), *Sunan Al-Tirmidhi*, (in Arabic), investigated by: Ibrahim Atwa, 1<sup>st</sup> Edition, Egypt, Mustafa Al-Babi Press.
- 43) Al-Zamakhshari Jar Allah, (1419 AH), *Asas al-Balaghah*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Basil, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- 44) Al-Zamakhshari, Jar Allah, (2009 AD), *The Scout for Mysterious Truths of Download*, (in Arabic), investigated by: Khalil Shiha, 3<sup>rd</sup> Edition, Beirut, Dar al-Maarifa.
- 45) Al-Zubaidi, Muhammad, *The crown of the bride from the jewels of the dictionary*, (in Arabic), Dar Al-Hedaya.
- 46) Al-Zuhaili, Wahba, (1418 AH), *Al-Tafsir al-Munir*, (in Arabic), 2<sup>nd</sup> Edition, Damascus, House of Contemporary Thought.
- 47) Daoud, Muhammad, (2008 AD), *A Dictionary of Semantic Differences in the Noble Qur'an*, (in Arabic), Cairo, Dar Gharib.
- 48) Ibn Ashour, Muhammad, (1984 AH), *Liberation and Enlightenment*, (in Arabic), Tunis, Al-Durr Al-Tunisieh.
- 49) Ibn Attia, Muhammad, (1422 AH), *The brief editor in the interpretation of the dear book*, (in Arabic), investigated by: Abd al-Salam Abd al-Shafi, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- 50) Ibn Duraid, Muhammad, (1987 AD), *Jamhrat al-Lughah*, (in Arabic), investigated by: Ramzi Baalbaki, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar Al-Ilm for Millions.
- 51) Ibn Farris, Ahmd, (1399 AH), *Language Standards*, (in Arabic), investigated by: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr.
- 52) Ibn Hajar, Ahmad, (2000 AD), *Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari*, (in Arabic), 3<sup>rd</sup> Edition, Damascus, Dar Al-Fayhaa.
- 53) Ibn Hanbal, Ahmad, (1995 AD), *Musnad of Imam Ahmad*, (in Arabic), investigated by: Ahmed Shaker, 1<sup>st</sup> Edition, Cairo, Dar Al-Hadith.
- 54) Ibn Hisham, Abdullah, (2015 AD), *Mughni Al-Labib on the books of Al-Arabiya*, (in Arabic), investigated by: Muhammad Abdul Hamid, Lebanon, Al- Mataba Al-Asriya.
- 55) Ibn Katheer, Ismail, (1970 AD), *Interpretation of the Great Qur'an*, (in Arabic), 2<sup>nd</sup> Edition, Beirut, Dar Al-Fikr.
- 56) Ibn Manzur, Muhammad, (1414 AH), *Lisan Al-Arab*, (in Arabic), 3<sup>rd</sup> Edition, Beirut, Dar Sader.
- 57) Ibn Sayyidah, Ali, (1421 AH), *The Arbiter and the Greatest Ocean*, (in Arabic), investigation: Abdul Hamid Hindawi, 1<sup>st</sup> Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- 58) Jabal, Muhammad, (2010 AD), *The original etymological lexicon*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Cairo, Library of Arts.
- 59) Khalifa, Ibrahim, (1993 AD), *Analytical Interpretation of Surat An-Nisa*, (in Arabic), 1<sup>st</sup> Edition, Egypt, Al-Fajr Al-Jadeed Press.
- 60) Lammens, Henricus, (1889 AD), *Pioneers of Language*, (in Arabic), Beirut, The Catholic Press of the Jesuit Fathers.
- 61) Muslim, Abu Al-Hussein, (2006 AD), *Sahih Muslim*, (in Arabic), investigated by: Abu Qutaiba Al-Farabi, 1<sup>st</sup> Edition, Riyadh, Dar Taiba.
- 62) Qutb, Sayyid, (1967 AD), *In the Shadows of the Qur'an*, (in Arabic), 5<sup>th</sup> Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- 63) Reda, Muhammad, (1367 AH), *Interpretation of Al-Manar*, (in Arabic), 3<sup>rd</sup> Edition, Egypt, Dar Al-Manar.
- 64) Udayma, Muhammad, *Studies of the Style of the Noble Qur'an*, (in Arabic), investigated by: Mahmoud Shaker, Cairo, Dar Al-Hadith.